إضاءات من سيرة أهل البيت عليهم السلام

ⓒ حسن موسى الصفار، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصفار، حسن موسى

اضاءات من سيرة أهل البيت عليهم السلام، / حسن موسى الصفار. ـ القطيف، ١٤٣٠هـ

.. ص؛ ..سم

ردمك: ٤-٣٥٥٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ـ آل البيت ٢ـ الشيعة ـ تراجم أ. العنوان

ديوي ٢٣٩,٨ ١٤٣٠/٦٦٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٦٦٤٠

ردمك: ٤-٣٥٥٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



إضاءات من سيرة اهل البيت عليهم السلام

حسن بن موسى الصفار



الحمد لله ربّ العالمين. اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

مقدمة

حين تسير ليلاً في طريق متشعب المسارات، مليء بالحفر والنتوءات، فأنت بحاجة ماسة للاستضاءة بنور القمر، من أجل أن تحدد مسار طريقك، وتحمي نفسك من الوقوع في الحفر، والتعثر بالعراقيل.

ولو جذب نظرك سحرُ القمر، وروعة جماله، خاصة حين يكون بدراً، فاتجهت نحوه ببصرك، وحدّقت فيه سارحاً بخيالك، فإنك ستجد متعة نفسية كبيرة، لكن ذلك قد يشغلك عن النظر إلى الطريق، فتهوي في المنزلقات، وتصطدم بالعراقيل، وتتعرض للتيه والضياع.

كذلك هي سيرة أهل البيت ﵈، إنها كالقمر الساطع المنير، الذي نحتاج ضوءه لإنارة دروب الحياة، لكن بعضنا قد ينشغل فكريًّا وعاطفيًّا بجمال وروعة تلك السيرة الطاهرة، فيستغرق في الانبهار والإعجاب بشخصيات أئمة الهدى، وينشدّ إليهم بأحاسيسه ومشاعره، لكنه يغفل

عن ترسم طريقهم في الحياة، ويفوته الأخذ بهديهم لمواجهة التحديات، وتجاوز العقبات.

ولا شك أن سيرة أهل البيت بروعتها وصفائها فيها ما يغري بالانبهار والعشق، لكن ذلك لا يصح أن يكون عوضاً وبدلاً عن الاهتداء والاقتداء، بل يجب أن يكون العشق لجمالهم المقدس دافعاً للاقتباس من هديهم، والاستضاءة بنورهم.

ونجد فيما روي عن أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ تأكيداً على أن العلاقة بهم يجب أن تتأسس على قاعدة الاتباع لهم والاقتداء بهم، لا مجرد الانشداد العاطفي إليهم.

إن النظر إلى أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ كلوحات فنية جميلة معلقة على جدار الزمن، نتأمل روعتها وحسنها، ونظهر الإشادة والإعجاب بها، أو كقطع أثرية نادرة تعرض في متاحف التاريخ، نقوّمها بأغلى الأثمان، دون أن يكون لها انعكاس أو تأثير على مسار حياتنا، إنما يعني ذلك التنكر والتجاهل لأهم وظيفة ودور أراده اللّه تعالى لهذه العترة الطاهرة، وهو دور الإمامة والهداية في حياة البشر.

إن أهل البيت جديرون بكل مدح وإطراء، وأهل لكل فضيلة ومكرمة، بل ما عسى أن يقال فيهم بعد ثناء اللّه تعالى عليهم في كتابه المجيد، وعلى لسان نبيه الصادق الأمين ﷺ.

إن ما يسرّ أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، هو معرفة نهجهم واتباع هديهم، لا مجرد الاستغراق في مدحهم وذكر فضائلهم.

كما أن الانتصار لظلامة أهل البيت عليهم السلام ومعاناتهم من الحاسدين لهم والجائرين عليهم، لا يكون بمجرد سكب العبرات وجرّ الحسرات، وإنما بالعمل على تحقيق أهدافهم العظيمة في إعلاء كلمة اللّه تعالى، ونشر العدل، وإقامة الحق.

فأهل البيت عليهم السلام لم يكونوا ذوات تبحث عن مواقع ومناصب، ولا جماعة تتطلع لمصالح خاصة، بل كانوا حملة رسالة عظيمة، وأصحاب قيم سامية، كرسوا وجودهم وحياتهم من أجل خدمة الرسالة ونشر القيم.

وقد تنوعت الظروف الاجتماعية والأوضاع السياسية التي عاصروها طيلة قرنين ونصف من الزمن، مما فرض تنوع الأدوار والمواقف في سيرتهم، مع وحدة الاتجاه والهدف.

إن المصلحة العامة للدين والأمة هي الهدف الأساس الثابت لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

أما منهجية العمل والموقف فهي متحركة حسب مقتضيات الواقع الاجتماعي.

ذلك أن الثبات ضمن منهجية دور وموقف محدد، لا يستجيب لتغيرات الواقع، أمر مخالف لمنطق العقل، وسيرة الأنبياء عليهم السلام، كما يضر بالرسالة، ويفوّت فرص خدمتها.

من هنا كان تنوع المواقف والأدوار في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، على الصعيد السياسي والاجتماعي. حيث نجد منهم من قام بأعباء

الحكم، ومن صالح متنازلاً عن الحكم، ومن ثار في وجه السلطة، ومن هادن ووادع السلطة، ومن قبل منصب ولاية العهد، ومن تحمّل عناء السجون والإقامة الجبرية..

ونجد من تصدى للحركة العلمية، ومن ركز على التربية الإيمانية الأخلاقية، ومن اهتم بحاجات الفقراء والمساكين، بمعنى أن تكون هذه الصفة أو تلك هي الأبرز في سيرته وعهده.

لذا فإن علينا أن نقرأ سيرة أهل البيت بموضوعية وشمول، حتى لا نقع في أسر الأُحادية والفهم المبتور.

وإذا كان تنوع الأدوار والمواقف في سيرة أهل البيت عليهم السلام حقيقة تاريخية لا جدال فيها، فإن إسقاط هذا الدور أو ذاك الموقف على واقع اجتماعي سياسي معاصر، يكون مورداً قابلاً للاختلاف وتفاوت وجهات النظر، من حيث تشخيص الواقع الخارجي، وتحديد الموقف الأصلح في التعامل معه.

وحين يختلف التشخيص للواقع، فقد يترتب عليه الاختلاف في الموقف المختار، وبإمكان كل طرف أن يجد في سيرة أهل البيت وفي مجمل التراث الديني، ما يستدل به على صحة موقفه ومشروعيته، لكنه لا يستطيع إدانة موقف الطرف الآخر، ما دام يتفق معه في المبادئ والقيم، ويختلف معه في التشخيص والتقويم.

فالخلاف ليس على مشروعية الثورة والمعارضة، ولا على مشروعية المصالحة والمهادنة، فكلاهما له أصل في الدين، وممارسة في سيرة أهل

البيت عليهم السلام، إنما الخلاف وتفاوت الاجتهاد في تشخيص وتقويم الواقع الخارجي، واستلزامه لهذا الموقف أو ذاك.

وقد واجه أئمة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم بعض الاعتراضات على مواقفهم السياسية من قبل معاصرين لهم، فكانوا يجيبون المعترضين، بتبيين رأيهم في تشخيص الواقع الذي اقتضى منهم ذلك الموقف.

كما أجاب الإمام الحسن عليه السلام المعترضين على صلحه لمعاوية، وأجاب الإمام الحسين عليه السلام الناصحين له بعدم الخروج إلى العراق ومواجهة الحكم الأموي، وأجاب الإمام الصادق عليه السلام الداعين له للانضمام إلى حركة الثورات على السلطة.

ففي تلك الإجابات لم يكن النقاش في مبدأ الجهاد ورفض الظلم، ولا في ضرورة مراعاة المصلحة العامة، وإنما الكلام حول مقتضيات الظرف والواقع.

وكمثال واضح ننقل ما رواه الكليني في الكافي ج ٥ صفحة ١٩ عن عبدالملك بن عمر قال: «قلت لأبي عبد اللّه (جعفر الصادق) عليه السلام: إن الزيدية يقولون: ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلا أنه لا يرى الجهاد. فقال عليه السلام: أنا لا أراه؟ بلى واللّه إني لأراه ولكن أكره أن أدع علمي إلى جهلهم».

هكذا يحدد الإمام عليه السلام أنه لا يختلف معهم في مبدأ الجهاد، لكنه يعلم من مقتضى الواقع ما يجهلون.

وهذه الصفحات بين يدي القارئ الكريم تحوي كلمات كتبتها

في أوقات مختلفة، بمناسبات ذكريات أهل البيت عليهم السلام، وهي تتكامل مع ما سبق لي كتابته ونشره عن سيرتهم المباركة، حيث كان من أوائل كتاباتي، كتاب (أئمة أهل البيت رسالة وجهاد) وكتاب (الإمام الحسين ومسؤولية الثورة)، وكتاب (الثائر والسجن دراسة في حياة الإمام موسى الكاظم عليه السلام)، وكتيبات أخرى وفقني اللّه تعالى لطبعها ونشرها، عن الإمام علي عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، والعقيلة زينب عليها السلام، والإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

وفي كل ما كتبت أحاول الاستضاءة بهدي أهل البيت وسيرتهم، وأسعى لمقاربة الواقع الاجتماعي الذي أتحرك في محيطه، ضمن دائرة الاجتهاد في فهم متغيرات الواقع، وتشخيص مقتضياته.

أسأل اللّه تعالى الثبات على محبة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، والالتزام بهديهم، والاستمرار في خدمة نهجهم الرسالي العظيم، حتى أحشر مع زمرتهم يوم الدين.

والحمدللّه ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

٢٥ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ

مكانة أهل البيت ﷷ

من الطبيعي أن يحتل آل بيت رسول اللّه ﷺ مكانة مرموقة متميزة في نفوس أبناء الأمة، وأن تهفو لهم قلوب المسلمين وأفئدتهم، حيث إن هناك عوامل وأسباباً عديدة توجب ذلك وتفرضه، ومن أبرزها ما يلي:

البعد الامتدادي

أهل البيت ﷷ يشكلون الامتداد الطبيعي لرسول اللّه ﷺ، فهم أسرته وذريته، ومن بديهيات العلاقات المتداولة بين أبناء البشر، أن تنعكس مكانة الإنسان ومعزته عند الناس، على عائلته ونسله، فإذا أحبَّ الناس إنساناً، وانجذبوا نحوه وعظّموه، فإن ذلك يدفعهم إلى حب وتقدير كل من يمت إليه بصلة أو قرابة، إظهاراً لمحبتهم ووفائهم لذلك العزيز المحبوب.

وهو أمر فطري وجداني أشار إليه رسول اللّه ﷺ، فيما روته عنه ابنته الزهراء عليها السلام في خطبتها المشهورة أنه قال: «المرء يحفظ في ولده»[١].

وتأسيساً على هذه الحقيقة فإن رسول اللّه ﷺ هو الأحبّ والأغلى والأعز على قلب كل مسلم ينبض قلبه بالإيمان، وكأثر وانعكاس لهذا الحب العظيم للرسول الكريم ﷺ، تفيض قلوب المسلمين بالمحبة والإجلال لأهل بيته وعترته.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «أحبوا اللّه لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب اللّه، وأحبوا أهل بيتي لحبي»، قال الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين: هذا حديث صحيح الإسناد[٢].

بل إن محبة المسلمين لنبيهم ﷺ تدفعهم للاهتمام بأي أثر من آثاره، فكيف بذريته وعترته وهم الأثر الحيّ، والامتداد الطبيعي لشخصه وشخصيته؟

ينقل الدكتور محمد بيوّمي مهران، أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في جامعة الإسكندرية بمصر، وهو عالم باحث محقق، وعضو في عدة هيئات ولجان علمية، أعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، في الفترة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧م، ثم أعير إلى

---

(١) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار. ج٣٩، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص٢٢٧.

(٢) محمد بن عبداللّه الحاكم النيسابوري. المستدرك على الصحيحين، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، حديث ٤٧١٦.

جامعة أم القرى بمكة المكرمة، في الفترة ١٩٨٣ـ ١٩٨٧م. ينقل هذا الدكتور في كتابه (الإمامة وأهل البيت) القصة الطريفة التالية:

روى (ابن شهراشوب) في مناقبه: أن الإمام أبا حنيفة جاء ليسمع من الإمام جعفر الصادق، فخرج إليه الإمام جعفر يتوكأ على عصا، فقال أبو حنيفة: يا ابن رسول اللّه، لم تبلغ من السن ما تحتاج معه إلى العصا، قال: هو كذلك، ولكنها عصا رسول اللّه ﷺ، أردت التبرك بها.

فوثب أبو حنيفة وقال: أُقبّلها يا ابن رسول اللّه.

فحسر أبو عبد اللّه جعفر الصادق عن ذراعيه، وقال له: واللّه لقد علمت أن هذا بشر رسول اللّه، وأن هذا من شعره، فلم لا تقبّله، وتقبّل العصا؟[1]

وتتناقل أوساط الأمة جيلاً بعد آخر أحاديث عديدة عن رسول اللّه ﷺ تذّكر وتؤكد ما يجسده أهل البيت من امتداد لشخص رسول اللّه ﷺ وشخصيته.

كقوله ﷺ عن ابنته الزهراء ﴿عليها السلام﴾ فيما رواه البخاري: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»[2]، جاء في لسان العرب: أي إنها جزء مني

---

(١) محمد بيوّمي مهران. الإمامة وأهل البيت ج١، ١٩٩٥م، (بيروت: دار النهضة العربية)، ص٢٥.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، باب مناقب فاطمة ﴿عليها السلام﴾، (بيروت: دار الكتب العلمية)، حديث ٣٧٦٧.

كما أن القطعة من اللحم[١].

وكقوله ﷺ لعلي عليه السلام فيما رواه البخاري: «أنت مني وأنا منك»[٢].

ومثله ما رواه ابن حنبل عنه ﷺ في حق الحسين عليه السلام، أنه ﷺ قال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب اللّه من أحب حسيناً»[٣].

هذه الأحاديث وكثير مثلها تشير إلى تلك العلقة والصلة الطبيعية لأهل البيت عليهم السلام برسول الله ﷺ، التي تجعلهم امتداداً له، وعلى هذا الأساس كان المسلمون ينظرون إلى أهل البيت عليهم السلام بمحبة خاصة، وتقدير مميز. حتى روى البخاري عن الخليفة الأول أبي بكر في اعتذاره للسيدة فاطمة الزهراء حول أخذه فدكاً، وسخط فاطمة على ذلك أنه قال: «والذي نفسي بيده، لقرابة رسول اللّه أحبّ إليَّ أن أصل من قرابتي»[٤].

النصوص الشرعية

يجد المسلم نفسه ملزماً باتباع النص الشرعي الوارد في الكتاب والسنة، وأن يأخذ به ويطبقه، امتثالاً لأمر اللّه تعالى، وتقرباً إليه، وطلباً لرضاه، وأساساً فإن الإسلام يعني التسليم للّه والعبودية له.

---

(١) ابن منظور. لسان العرب ج١، ١٩٨٨م (بيروت: دار الجيل ودار لسان العرب)، ص٢٢٢.

(٢) صحيح البخاري. باب مناقب علي بن أبي طالب، ص ٤٦٦.

(٣) أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، (بيروت: عالم الكتب)، حديث ١٧٧٠٤.

(٤) صحيح البخاري. باب غزوة خيبر، حديث ٤٢٤١.

كما يعتقد المسلم بأن أي أمر للّه تعالى إنما يستهدف مصلحة الإنسان في دنياه وآخرته.

وحينما تتعدد النصوص الشرعية، وتستفيض وتتواتر بكثافة حول أمر من الأمور، فذلك يعني أهمية خاصة، وعناية إلهية مؤكدة، تدفع المسلم للحرص عليه، وأخذه بكل جدٍّ واهتمام.

من هذا المنطلق فإن ما ورد من نصوص شرعية كثيرة صحيحة ثابتة، عن فضل أهل البيت، ومكانتهم عند اللّه ورسوله، وحقوقهم على الأمة، هو أرضية هذا الولاء العميق لأهل البيت عند المؤمنين، وهو الذي أوجب انشداد الأمة للعترة النبوية، وغمر قلوب المسلمين بمحبتهم وعشقهم.

وصحيح أن هناك نصوصاً شرعية قد وردت في فضل الصحابة، وفي الإشادة بمكانة بعضهم، وامتداح مواقفهم الجهادية المشرقة، إلا أنها بمجملها لا ترقى إلى درجة ومستوى ما ورد حول أهل البيت عليهم السلام، لا من ناحية الكم، ولا من حيث قوة السند، ولا على صعيد المضمون والدلالة.

فهي نصوص كثيرة العدد جدًّا، وقسم كبير منها اتفق المسلمون سنة وشيعة على قبوله وصحة سنده، وفي تلك النصوص دلالات واضحة على تميّز أهل البيت وأفضليتهم، وعلى لزوم أتباعهم والتمسك بهم.

وكمثال بارز نشير هنا إلى ما نقله الحاكم النيسابوري في المستدرك عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: ما جاء لأحد من أصحاب رسول

اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام[١].

وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي[٢].

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب اللّه تعالى ما نزل في علي[٣].

من الذكر الحكيم

ويأتي في طليعة النصوص الشرعية آيات من الذكر الحكيم، اتفق جمهور علماء المسلمين على نزولها في أهل البيت عليهم السلام.

كآية المباهلة، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أبناءنَا وَأبناءكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّه عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٤]. التي نزلت عند مجيء وفد نصارى نجران لمناظرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأمره اللّه تعالى أن يدعوهم إلى المباهلة إن لم يستجيبوا للحق، وهكذا خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمباهلتهم ومعه علي وفاطمة والحسنان فقط، تجسيداً لما ورد في الآية الكريمة، فـ﴿أبناءنَا﴾ هما الحسنان، و﴿نِسَاءَنَا﴾ هي فاطمة،

---

(١) المستدرك على الصحيحين. من مناقب أمير المؤمنين علي، حديث ٤٥٧٢.

(٢) أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي. الصواعق المحرقة، ج٢، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص٣٥٣.

(٣) المصدر نفسه. ص٣٧٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٦١.

و﴿أَنْفُسَنَا﴾ هو علي، وذلك ما ذكره جمهور المفسرين ومؤرخو السيرة النبوية، وأئمة الحديث، جاء في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أبناءنَا وَأبناءكُمْ﴾، دعا رسول اللّه عليًّا وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللّهم هؤلاء أهلي»[١].

وكآية التطهير، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

قال الشيخ ابن تيمية:

وقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة: أن هذه الآية لما نزلت أدار النبي صلى الله عليه وآله كساءه على عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا» وسنته تفسر كتاب اللّه وتبينه، وتدلّ عليه، وتعبِّر عنه، فلما قال صلى الله عليه وآله: «هؤلاء أهل بيتي» مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه، علمنا أن أزواجه وإن كنّ من أهل بيته، كما دلّ عليه القرآن، فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته، لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر... ولما بيّن سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته، ويطهرهم تطهيرًا، دعا النبي صلى الله عليه وآله أقرب أهل بيته، وأعظمهم اختصاصاً به، وهم: علي، وفاطمة عليهما السلام، وسيدي شباب أهل الجنة، جمع اللّه لهم بين أن قضى لهم بالتطهير، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء

---

(١) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، (الرياض: دار المغني)، حديث ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

النبي ﷺ، فكان من ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من اللّه، ليسبغها عليهم، ورحمة من اللّه وفضل لم يبلغوهما بمجرد حولهم وقوتهم»[١].

وكآية المودة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٢].

قال ابن حجر الهيتمي: أخرج أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه، أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول اللّه من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: «علي وفاطمة وابناهما»[٣].

من السنة النبوية

أما الأحاديث النبوية الصادرة عن رسول اللّه ﷺ في فضل أهل البيت، وحث الأمة على الالتزام بهديهم، والتمسك بحبلهم، فيكفي لمعرفة حجمها، وصراحة مضامينها، مراجعة أي مصدر حديثي من كتب السنة أو الشيعة، بل لقد صنف بعض الحفّاظ والمحدّثين كتباً خاصة أفردوها لما ورد في أهل البيت عامة، أو في بعض أشخاصهم بشكل خاص. كـ (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى) للإمام

(١) تقي الدين أحمد ابن تيمية. حقوق آل البيت، (بيروت: دار الكتب العلمية، تحقيق: عبدالقادر عطا)، ص٢٥ ـ ٢٧.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢٣.

(٣) الصواعق المحرقة. ج٢ ص٤٨٧.

الطبري المكي ٦١٥ ـ ٦٩٤هـ، و(تذكرة الخواص) لسبط الحافظ ابن الجوزي الحنفي ٥٨١ ـ ٦٥٤هـ، و(خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) للحافظ النسائي ٢١٥ ـ ٣٠٣هـ، وغيرها من المصنفات.

وفي طليعة تلك الأحاديث المتواترة ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[١] أخرجه الحاكم في المستدرك والهيثمي في مجمع الزوائد، والحافظ الطبري في ذخائر العقبى وغيرهم.

وكذلك حديث الثقلين الذي ورد بطرق كثيرة صحيحة، منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول اللّه صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى خماً، بين مكة والمدينة، فحمد اللّه وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب اللّه، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه، واستمسكوا به» فحث على كتاب اللّه ورغب فيه. ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي. أذكركم اللّه في أهل بيتي. أذكركم اللّه في أهل بيتي»[٢].

وأورده الألباني في الأحاديث الصحيحة تحت رقم ١٧٦٧ بلفظ الترمذي عن جابر بن عبداللّه عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «يا أيها الناس! إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب اللّه، وعترتي

---

(١) المستدرك على الصحيحين. حديث ٣٣١٢.

(٢) صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة، حديث ٢٤٠٨.

أهل بيتي»[١].

وقد أثبت الألباني صحة الحديث وذكر عدة شواهد له من أحاديث أخرى صحيحة.

هذه الأحاديث وأمثالها هي التي غرست في القلوب محبة أهل البيت، وكرّست في جمهور المؤمنين موالاتهم، ودفعتهم لاتباعهم.

التفوق العلمي

الكفاءة تفرض نفسها، وتستقطب الاحترام والاهتمام، ولأن أهل البيت ﷺ كانوا يملكون كفاءة علمية فائقة، فإن أعلام الأمة كانوا ينتهلون من علومهم، والخلفاء كانوا يلجأون إليهم في القضايا الصعبة، وجماهير الأمة كانت ترى فيهم مرجعية علمية معتمدة.

يتحدث السيد أبو الحسن الندوي في كتابه (المرتضى) عن رجوع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للإمام علي بن أبي طالب في المعضلات والمشاكل، فيقول: «وكان علي لسيدنا عمر ناصحاً أميناً، وقاضياً في المعضلات حكيماً، يفض المشكلات، ويزيح الشبهات، حتى أثر عن سيدنا عمر أنه قال: لولا علي لهلك عمر، واشتهر في التاريخ والأدب وذهب مثلاً: «قضية ولا أبا حسن لها» وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أقضاهم علي» وقد استخلفه عمر عند رحيله إلى القدس»[٢].

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤. الطبعة الأولى ١٩٨٣م، (الكويت: الدار السلفية، الأردن: المكتبة الإسلامية)، ص٣٥٥.

(٢) أبو الحسن الندوي. المرتضى، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، (دمشق: دار القلم)، ص١٠٣.

وقد لاحظ الدكتور ظافر القاسمي أستاذ العربية والعلوم الإسلامية في الجامعة اللبنانية، والباحث المعروف، عند بحثه لموضوع السلطة القضائية في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الملاحظة التالية: «أما علي بن أبي طالب فقد كان أقضى الصحابة، والظاهر أنه كان يُستشار، ولا يستشير. ومن يدري؟ فإن ورع الإمام ربما دعاه لأن يسأل، وأن يستشير، ولكن لم ترو لنا الكتب حادثة استشار فيها علي أحداً من الصحابة»[1].

والتفسير الصحيح لهذه الملاحظة هو اكتفاء الإمام علي من الناحية العلمية، وتفوقه على معاصريه، لذا لم يكن بحاجة للرجوع إلى أحد في أي مسألة أو مشكلة.

ويتحدث الشيخ محمد أبو زهرة عن علم الإمام جعفر الصادق فيقول: «ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم في أمر، كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه، فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا، أخذ عنه مالك رضي الله عنه، وأخذ عنه طبقة مالك، كسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وغيرهم كثير، وأخذ عنه أبو حنيفة مع تقاربهما في السن، واعتبره أعلم أهل الناس، لأنه أعلم الناس باختلاف الناس، وقد تلّقى عليه رواية الحديث طائفة كبيرة من التابعين، منهم يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني، وأبان بن تغلب، وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهم من أئمة التابعين في الفقه والحديث، وذلك فوق الذين

---

(١) ظافر القاسمي. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ج٢، الطبعة الأولى ١٩٧٨م، (بيروت: دار النفائس)، ص٣٢٩.

رووا عنه من تابعي التابعين ومن جاء بعدهم، والأئمة المجتهدين الذين أشرنا إلى بعضهم»[1].

وهكذا كان كل إمام من أئمة أهل البيت مرجعية علمية في عصره، لا يوازيه أو يدانيه أحد من العلماء والفقهاء، مما عزز مكانة أهل البيت في أوساط الأمة، وأحاطهم بأعلى درجات التقدير والاحترام.

مكارم الاخلاق

تعشق النفوس كل نزيه طاهر السلوك، ويحب الناس من يجسِّد مكارم الأخلاق في شخصيته وحياته، ويحترمون من يعاملهم بالافضال والإحسان.

وقد رأى المعاصرون لأهل البيت ﷺ في سيرتهم كل مظاهر الكمال والفضل، من صفاء النفس، ونقاء السلوك، وحسن المعاملة، والعطاء الوافر للمحتاجين، والاهتمام بمشاكل الفقراء والضعفاء والعفو عن المسيئين. وهم بذلك يمثلون الامتداد والاستمرارية لأخلاق جدهم الرسول الكريم ﷺ الذي وصفه اللّه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

المظلومية والمعاناة

ما وقع على أهل البيت من الظلم والأذى، من قبل الحاسدين لهم، الذين كانوا يخشون على سلطتهم وعروش حكمهم، من عظيم

(١) محمد أبو زهرة. الإمام الصادق، (بيروت: دار الندوة الجديدة)، ص٦٦.

شعبية أهل البيت، وسعة نفوذهم، وهيمنتهم على القلوب والنفوس، لذلك وجهوا لهم سهام الأذى، وأصابوهم بمختلف ألوان الاضطهاد، وتكفي واقعة كربلاء نموذجاً ومظهراً لمظلومية أهل البيت ومعاناتهم.

هذه الآلام والمآسي التي وقعت على أهل البيت عليهم السلام أوجدت تعاطفاً كبيراً في نفوس أبناء الأمة معهم؛ لأن من طبيعة البشر، التعاطف مع المظلومين.

وقد تحول هذا التعاطف إلى برامج مستمرة، وشعائر دائمة يقيمها أتباع أهل البيت في كل مكان وزمان، لتكريس الولاء والمحبة لهم، ولتجديد قراءة سيرتهم العطرة، ومواقفهم المجيدة.

نسأل اللّه تعالى أن يثبتنا على الولاء لرسول اللّه ولأهل بيته الأطهار وأصحابه الأخيار، وأن يجعلنا من المقتدين بهديهم، ويحشرنا في زمرتهم يوم القيامة.



الإمامة بين النص والشورى

يتفق المسلمون سنة وشيعة على الإيمان باللّه تعالى إلها واحداً لا شريك له، وعلى التسليم بنبوة النبي محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، والاعتقاد بالبعث والمعاد يوم القيامة، ويؤمنون جميعاً بقرآن واحد منزل من قبل اللّه تعالى، هو هذا المصحف الكريم المتداول بين المسلمين، دون زيادة أو نقصان، وأن القرآن والسنة هما مصدر الدين والتشريع. كما يتجهون إلى قبلة واحدة في أداء الصلوات الخمس، ويحجون إليها، ويؤدون الزكاة، ويصومون شهر رمضان.. فهم متفقون في أصول الدين وأركانه.

ونقطة الاختلاف الرئيسة، بين الطائفتين المسلمتين السنة والشيعة، تكمن في موضوع الإمامة والخلافة، حيث يرى أهل السنة أنها أمر متروك للأمة، فهي تختار الإمام والخليفة بالشورى والانتخاب، بينما

يرى الشيعة، أن الإمامة تكون بالنص والتعيين من قبل الرسول ﷺ.

لماذا الحديث عن الإمامة؟

أولاً: الحديث عن الإمامة ليس له تأثير على مجرى التاريخ، وعلى ما حصل وتحقق بالفعل في حياة المسلمين، فقد كان الخليفة الأول هو أبو بكر بن أبي قحافة، وبعده كان الخليفة عمر بن الخطاب، وبعده الخليفة عثمان بن عفان، وبعده الإمام علي بن أبي طالب، وبعده ابنه الحسن، لبضعة أشهر، ثم تولى معاوية بن أبي سفيان، وتوارث الأمويون بعده الخلافة، إلى أن زالت دولتهم، وجاءت دولة بني العباس، وهكذا تسلسل الحكم في التاريخ الإسلامي كما هو معروف.

ثانياً: الحديث عن الإمامة لا ينبغي أن يكون ضمن مسار إثارة الخلافات والضغائن، ولا أن يتم بطريقة متشنجة منفعلة، تشغل المسلمين عن قضايا واقعهم المعاصر، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة والوئام.

ثالثاً: من الضروري جدًّا أن يتعرف المسلمون إلى بعضهم بعضاً، وأن تتضح وجهة نظر كل طرف للآخر، بشكل موضوعي هادئ، ليس بقصد التبشير المذهبي، وأن يقتنع السني بوجهة نظر الشيعي أو العكس، وإنما لأن المعرفة والوضوح، توفر أجواء الفهم المتبادل، وتقطع الطريق على المغرضين، الذين يشوهون صورة كل جهة أمام الأخرى، ليصطادوا في الماء العكر.

إن الدول المتقدمة تعتمد الآن منهج التعارف الموضوعي حتى

للجماعات الوافدة على بلدانها، من أجل دمجهم في المجتمع، وصنع أرضية لتقبلهم ومشاركتهم في الحياة العامة، وللوقوف أمام الاتجاهات العنصرية المتطرفة ضد الآخرين.

وحدث أن خاضت الحكومة الإسرائيلية الغاصبة معركة في الكنيست الإسرائيلي، لأن وزير التربية والتعليم يريد إقرار بعض المناهج التي تتضمن نصوصاً أدبية لأدباء فلسطينيين، على أساس ضرورة تعرّف الإسرائيليين إلى الفلسطينيين المجاورين لهم.

وديننا الإسلامي الحنيف يربينا على الاستماع للرأي الآخر: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[1] ويأمرنا أن نتأكد من معلوماتنا عن الآخرين، فلا نتهمهم بشيء عن جهل، وقبل أن نتثبّت ونتبين ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[2].

من هذا المنطلق نتحدث عن موضوع الإمامة بين النص الذي يعتقد الشيعة ضرورته فيها، والشورى التي يرى السنة تحقق الخلافة بها.

الإمامة وشمولية الإسلام

الإسلام كنظام شامل لجميع أبعاد الحياة، هل يمكن أن يهمل موضوع القيادة والإمامة في الأمة؟

إنها الموضوع الأكثر خطورة وحساسية، فلا بدّ أن يكون للإسلام

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٦.

فيه رأي ومنهج، ونرى أن أي نظام اجتماعي يعطي الأولوية لتحديد قضية القيادة وتداول السلطة، حتى على مستوى المؤسسة المحدودة، أو الجمعية الخيرية، فكيف يمكن إذاً أن يهمل الإسلام موضوع الإمامة؟ ولا يبين رؤيته حولها؟ ولا طريقة تداولها في المجتمع الإسلامي؟ علماً بأن هذا المجتمع جديد التكوّن والنشأة، على هدي الإسلام.

إن الفقهاء في تناولهم لصلاة الجماعة، يتناولون موضوع الإمامة في الصلاة، ويذكرون تعاليم الإسلام في تحديد الأحق والأولى بإمامة الجماعة، طبقاً لأحاديث مروية عن رسول اللّه ﷺ في هذا المجال، فهناك من تصح إمامته، وهناك الأحق والأولى، وهناك من تكره إمامته.. وفي الكتب الفقهية تفصيل لهذه المسألة واختلاف بين المذاهب والفقهاء على بعض تفاصيلها، فإذا كانت الإمامة في صلاة الجماعة، لها نصيب من الطرح والتحديد في الشريعة الإسلامية، فهل يمكن القول بتجاهل قضية إمامة الأمة وخلافة رسول اللّه ﷺ؟ وأن الإسلام لم يحدد معالمها وضوابطها؟

النبي ﷺ ومستقبل الدعوة

وفاة رسول اللّه ﷺ وارتحاله عن دار الدنيا، لم يكن أمرا مفاجئاً له، فهو يعلم أن شأنه كبقية الناس، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[١] بل كان يشير إلى قرب أجله في الفترة الأخيرة من حياته، فهل كان يفكّر في مستقبل الدعوة والأمة بعد وفاته؟

---

(١) سورة الزمر، آية: ٣٠.

أم أنه لم يكن مبالياً ولا مهتماً بذلك؟ إن الموقف السلبي من مستقبل الدعوة، أمر مستبعد عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وهو الحريص على حماية الدين ومصلحة الأمة.

كما أن الاطمئنان والثقة بالمستقبل، وأن لا خطر على الدين والأمة من الفراغ القيادي، الذي سيحدث بسبب وفاته صلى الله عليه وآله، هو الآخر أمر مخالف لطبيعة الحالات البشرية، وخاصة في مجتمع جديد، وحديث عهد بالإسلام، وقد يحتفظ بعض أبنائه بشيء من رواسب تاريخهم الماضي، حيث الانتماءات القبلية، والخلافات والنزاعات المصلحية، مع وجود أخطار خارجية تحيط بالإسلام، وعناصر منافقة مندسة في المجتمع الإسلامي.

وهناك شواهد كثيرة تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله تحدث عن بعض الفتن والمشاكل التي ستصيب أمته، وحذر منها، فهو إذاً مهتم بمستقبل الدعوة، وعارف بالأخطار والتحديات التي تواجهها، ويتوقع حصول مختلف الاحتمالات والأحداث، كيف لا، وقد صرح القرآن الكريم فيما نزل حول واقعة أحد، وتداعيات النكسة التي أصابت المسلمين فيها، وظهور إشاعة قتل رسول اللّه صلى الله عليه وآله، بأن جماعة قد اهتز موقفهم بسبب تلك الإشاعة، يقول تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[1].

وحرص الرسول على الدعوة، واهتمامه بمستقبل الأمة، يستدعي

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

أن يعالج موضوع الفراغ القيادي الذي سيحدث بوفاته.

الشورى

هناك أحد احتمالين لموضوع الإمامة بعد رسول اللّه ﷺ، الأول منهما: أنه ﷺ ترك الأمر ليكون شورى بين المسلمين، فهناك جيل من الصحابة تربى على يد الرسول ﷺ، ونهل من توجيهات الوحي، وعلى عاتقهم تقع مسؤولية اختيار الإمام والخليفة، على أساس الشورى والانتخاب من قبلهم.

والاحتمال الآخر هو أنه ﷺ قد نص على شخص معين ليكون الإمام والخليفة من بعده.

لكن الملاحظ هنا: أن الشورى، إذا كان معولاً عليها كمنهج ونظام، فهي بحاجة إلى طرح وتأكيد في أوساط الأمة، وتبيين لمعالمها وضوابطها، فمن هم أهل الشورى؟ كل المسلمين؟ أم أهل المدينة خاصة؟ أم أهل الحل والعقد؟ ومن هم بالتحديد؟ وهل هي بالإجماع أو الأكثرية؟

كل ذلك ليس واضحاً من خلال حديث الرسول ﷺ أو سيرته.

من ناحية أخرى: فإن الرسول ﷺ لم يهيئ أصحابه، ولم يدرب أمته على ممارسة الشورى في هذه المسائل القيادية، فهو حينما كان يغادر المدينة كان يستخلف عبد اللّه ابن أم مكتوم، لإمامة الصلاة وغيرها من الشؤون، ولم يكن يترك الأمر للناس أن يختاروا لأنفسهم إماماً وأميراً، وكذلك الحال حين يبعث سرية أو فرقة من الجيش، يعيّن عليها

الأمير من قبله، وفي بعض الأحيان كما حصل في غزوة مؤتة، عيّن ثلاثة أمراء على التعاقب، جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد اللّه بن رواحة.

لكل ذلك لم تكن فكرة الشورى في أمر الإمامة والخلافة راسخة ولا واضحة في أذهان الصحابة، ومن يقرأ المداولات التي حدثت في سقيفة بني ساعدة، قبيل بيعة الخليفة الأول أبي بكر، وحسب الصورة التي نقلها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، يتضح له أن آراء الصحابة ومواقفهم آنذاك لم تنطلق من هذه الفكرة، لذا كان الباب مفتوحاً على مختلف الاحتمالات، وطبقاً لقول الخليفة عمر: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة إلا أن اللّه وقى شرها. فقد ورد في صحيح البخاري ما نصه: «فلا يغترّن امروء أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن اللّه وقى شرها»[1].

وامتناع علي بن أبي طالب، وعدد من الصحابة معه، عن قبول نتائج ما حصل في السقيفة، إلى فترة من الزمن، ثم اعتماد الخليفة أبي بكر لطريقة الاستخلاف، حيث عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب، وتقنين الخليفة عمر لموضوع الشورى عند وفاته، حيث اختار ستة من الصحابة، ليجتمعوا ويتداولوا الرأي، ويختاروا واحداً منهم خليفة على الأمة، وإصرار جماهير الأمة بعد مقتل الخليفة عثمان، على علي بن أبي طالب لتولي الخلافة، وما آل إليه أمر الخلافة فيما بعد، حيث توارثها

(١) صحيح البخاري. كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ج٤ ص٢٨٨ حديث ٦٨٣٠.

الأمويون والعباسيون بالقوة والغلبة، هذه الطرق المختلفة والمتعددة في معالجة موضوع الإمامة والخلافة، تدل على عدم وضوح معالم الشورى، كمنهج معتمد من قبل الرسول ﷺ أو في ذهنية المسلمين.

النص والتعيين

لذلك يرى الشيعة أن الإمامة تكون بالنص والاختيار من قبل رسول اللّه ﷺ، منعاً لاحتمالات الخلاف والنزاع، ولأن اختيار اللّه ورسوله أصوب وأفضل، ولورود نصوص ثبتت صحتها عند الشيعة وغيرهم، يفهم منها الشيعة دلالتها على التعيين والنص بإمامة علي بن أبي طالب.

ويأتي في طليعة تلك النصوص: حديث غدير خم، الذي روته مصادر الحديث الموثوقة والمعتمدة عند السنة والشيعة، بطرق كثيرة صحيحة.

ونذكر هنا ما أورده حول هذا الحديث المحدث السلفي المعاصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الرابع، حديث رقم (١٧٥٠)، حيث أثبت روايته عن عشرة من الصحابة، بثلاثة وعشرين طريقاً، واستغرق تعداده لتلك الطرق أربع عشرة صفحة، من ٣٣٠ إلى ٣٤٤.

والصحابة العشرة الذين ذكر الألباني روايتهم لحديث الغدير هم:

زيد بن أرقم، وله عنه طرق خمسة.

سعد بن أبي وقاص، وله عنه ثلاثة طرق.

بريدة بن الحصيب، وله عنه ثلاثة طرق.

علي بن أبي طالب، وله عنه تسعة طرق.

أبو أيوب الأنصاري، وله عنه طريق واحد.

البراء بن عازب، وله عنه طريق واحد.

عبد اللّه بن عباس، وله عنه طريق واحد.

أنس بن مالك، أبو سعيد الخدري، أبو هريرة، له عنهم طريق واحد.

ونص حديث الغدير بالطريق الأول من حديث زيد بن أرقم كما أورده الألباني: «عن أبي الطفيل عنه قال: لما دفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع، ونزل غدير (خم)، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: كأني دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثم قال: «إن اللّه مولاي وأنا ولي كل مؤمن». ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: «من كنت مولاه، فهذا وليه، اللّهم والِ من والاه وعاد من عاداه».

ثم يضيف المحدّث الألباني: وللحديث طرق أخرى كثيرة، جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في (المجمع) (٩/ ١٠٣ ـ ١٠٨) وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها، مما يقطع الواقف عليها، بعد تحقيق الكلام

على أسانيدها بصحة الحديث يقيناً، وإلا فهي كثيرة جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، قال الحافظ بن حجر: منها صحاح ومنها حسان[١].

ومن علماء أهل السنة الذين أوردوا الحديث وأثبتوه ودافعوا عن صحته، المحدث أحمد بن حجر الهيتمي المكي (توفي ٩٧٤هـ) في كتابه (الصواعق المحرقة) ذكر: «قوله ﷺ يوم غدير خم ـ موضع بالجحفة ـ مرجعه من حجة الوداع، بعد أن جمع الصحابة، وكرر عليهم: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ ثلاثاً، وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف، ثم رفع يد علي، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدِر الحق معه حيث دار» وأكد ابن حجر: «أنه حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، وطرقه كثيرة جداً، ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً، وشهدوا به لعلي، لمّا نوزع أيام خلافته، كما مر وسيأتي، وكثير من أسانيدها صحاح حسان، ولا التفات لمن قدح في صحته، ولا لمن ردّه»[٢].

وحديث الغدير هذا واحد من أحاديث كثيرة، يرى الشيعة أنها تعني النص على إمامة علي بن أبي طالب، ولا مانع أن يختلف معهم الآخرون، في فهم هذه النصوص ودلالاتها، لكن الفرصة يجب أن تتاح للجميع

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج٤ ص٣٤٣.

(٢) الصواعق المحرقة. ص٤٠.

لممارسة حق الاجتهاد، وإبداء الرأي والنظر، على أساس من الموضوعية والاحترام المتبادل، ومع حفظ أجواء الأخوة والوحدة الإسلامية.



أهل البيت ﷷ وخيارات المواجهة

المدرسة الفكرية والفقهية لأهل البيت ﷷ، تشكل رؤية شاملة للإسلام، وبرنامجاً كاملاً لتطبيقه. ولا شكَّ أنهم كانوا مهتمين ببث ونشر ما يعتقدون أنه الفهم الصحيح للدين، وأن يأخذ طريقه للتنفيذ والتجسيد في حياة المسلمين.

ولوجود النص النبوي على مرجعيتهم، كما في حديث الثقلين، وحديث سفينة نوح، وحديث الغدير، وأمثالها، وباعتبارهم الأكفأ والأعرف بشريعة اللّه تعالى، فإن أئمة أهل البيت ﷷ يرون لأنفسهم أحقية الإمامة والقيادة للأمة.

لكن ذلك لم يدفع أياً منهم للصراع والمغالبة على الحكم والسلطة، ولا للسعي من أجل الفرض والهيمنة على الجمهور.

الإمام علي والخلافة

بعد وفاة رسول اللّه ﷺ، ومبايعة أبي بكر بالخلافة، في سقيفة بني ساعدة، كان هناك من يستحث الإمام عليًّا للتصدي للخلافة، كما ينقل ابن الأثير في تاريخه.. قال: «فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً.. وقال الزبير: لا أغمد سيفاً حتى يبايع علي.. أقبل أبو سفيان وهو يقول: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم، ثم قال لعلي: ابسط يدك أبايعك، فواللّه لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً، فزجره علي وقال: واللّه إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك واللّه طالما بغيت للإسلام شرًّا! لا حاجة لنا في نصيحتك»[(١)] ونحوه ورد في تاريخ الطبري[(٢)].

وينقل ابن قتيبة في كتابه (الإمامة والسياسة) أن العباس بن عبد المطلب قال لعلي: ابسط يدك أبايعك، فيقال: عم رسول اللّه بايع ابن عم رسول اللّه ويبايعك أهل بيتك، فإن هذا الأمر إذا كان لم يُقل[(٣)]. لكن عليًّا رفض ذلك حفاظاً على وحدة الأمة، ومراعاة لخطورة الظروف.

ومرة أخرى، عرضت الخلافة على الإمام علي ﷺ، بعد مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث كان واحداً من ستة عينهم الخليفة عمر، ليختاروا أحدهم خليفة للمسلمين، فعرض عبد الرحمن بن عوف على

(١) عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني. الكامل في التاريخ، ج ٢، ١٩٨٩م، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي)، ص ١٠ ـ ١١.

(٢) محمد بن جرير الطبري. تاريخ الطبري، ج ٢، الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص٤٤٩.

(٣) عبد اللّه بن مسلم ابن قتيبة الدينوري. الإمامة والسياسة ج١، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه، تحقيق: طه محمد المزيني)، ص١٢.

الإمام علي عليه السلام بمحضر المسلمين في المسجد قائلاً: هل أنت مبايعي على كتاب اللّه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال الإمام علي : اللّهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي[١].

لقد فوَّت على نفسه الخلافة والحكم آنذاك، برفضه الالتزام بشرط لا يقتنع به، لأنه لم يكن حريصاً على السلطة بمقدار حرصه على مبادئه.

وقرأت مؤخراً تعليقاً جميلاً للدكتور إسماعيل الشطي[٢] على هذه الحادثة التاريخية، قال فيه:

«ولقد كان الجيل الأول من المسلمين رضوان اللّه عليهم، يريد أن يجعل من تجربته السياسية والتنظيمية في إدارة الدولة، جزءاً من الشريعة، لولا تصدي الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم اللّه وجهه ـ لمثل هذه المحاولة، وكلفه هذا التصدي التضحية بمنصب الخلافة، في أول عرض لتوليها، عندما رفض الالتزام بتجربة الشيخين بعد كتاب اللّه وسنة نبيه، إذ كان تقييمه لهذه التجربة لا يعدو كونها اجتهاداً بشرياً، يسعُ من بعدهم، ويتسع لآفاق المستقبل، وبتضحيته هذه أوقف الإمام ـ كرم اللّه وجهه ـ زحف الثابت من الدين إلى حدود تلك المساحات»[٣].

ويتحدث المؤرخون عن تمنّع علي وعزوفه عن الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان، لولا إلحاح الجمهور عليه، قال ابن كثير: «وقد امتنع علي

---

(١) أبو الفداء الحافظ ابن كثير. البداية والنهاية، ج ٧، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ١٤٢.

(٢) شخصية إسلامية سياسية من الكويت.

(٣) إسماعيل الشطي. الإسلام الذي نريد، مقال في جريدة الشرق الأوسط ٧ يونيو ١٩٩٨م.

من إجابتهم إلى قبول الإمارة، حتى تكرر قولهم له، وفرَّ منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول، وأغلق بابه، فجاء الناس فطرقوا الباب، وولجوا عليه، وجاؤوا معهم بطلحة والزبير، فقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب»[١].

وحينما تصدى للخلافة، واضطر لمواجهة فتن المناوئين في حرب الجمل وصفين والنهروان، حفاظاً على الأمن والاستقرار، ووحدة الأمة، كانت تلك المواجهات مؤلمة له، وثقيلة على نفسه، ولو لا كونه في موقع المسؤولية، لكان أبعد عن تلك الصراعات مع الطامحين للمواقع والمناصب، التي لا حرص له عليها، ولا رغبة له فيها، يقول ﷺ: «أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ اللّه على العلماء ألا يُقارُّوا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[٢].

صلح الإمام الحسن

ومثل موقف الإمام علي ﷺ، كانت مواقف الأئمة الهداة من بعده، فقد جنح الإمام الحسن ﷺ للصلح مع معاوية، رغم أنه كان الخليفة الشرعي الذي بايعه المسلمون بعد شهادة أبيه، فكانت بيعته عامة

---

(١) البداية والنهاية. ج٧ ص٢١٨.

(٢) الشريف الرضي الموسوي. نهج البلاغة، خطبة ٣، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، (بيروت: دار الكتاب اللبناني).

شاملة لجميع مناطق العالم الإسلامي، على غرار بيعة أبيه، حيث بايعه جميع أهل العراق وفارس والحجازيون واليمانيون، لكنه لما رأى إصرار معاوية على انتزاع السلطة، واستعداده لعمل كل ما يوصله إلى ذلك، ورأى أن المواجهة العسكرية تعني الدخول في حرب أهلية طاحنة، لن تكون مضمونة النتائج، بسبب استخدام معاوية لمختلف أساليب الترهيب والترغيب، وافق على الصلح والتنازل عن السلطة.

أخرج الحاكم عن جبير بن نُفير قال: قلت للحسن: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة، فقال: قد كان جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت، ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه اللّه، وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1].

الإمام الصادق وحركة العباسيين

بعد أن ساد التذمر في أوساط الأمة من حكم الأمويين، وتحرك العباسيون للانقضاض على السلطة، رافعين شعارات الدعوة لأهل البيت، والأخذ بثأرهم، عرضوا على الإمام جعفر الصادق عليه السلام الانضمام إلى حركتهم وثورتهم، ليكون في موقع الزعامة والقيادة، فرفض دعوتهم. فقد كتب إليه أبو مسلم الخراساني ـ الذي كان يقود المواجهة العسكرية مع الأمويين ـ كتاباً جاء فيه: «إني أظهرت الكلمة، ودعوت الناس عن موالاة بني أمية، إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبت فلا مزيد عليك»،

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تاريخ الخلفاء، الطبعة الثانية ١٩٩٤م، (بيروت: دار الجيل)، ص ٢٢٧.

فأجابه الإمام: «ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني»[١].

ومرة أخرى، بعث إليه أبو سلمة الخلال، وهو أحد القادة في حركة العباسيين، يدعوه ليكون في صدارة الحركة وزعامتها، فرد الإمام الصادق دعوته[٢].

الإمام الرضا والمشاركة في الحكم

تعزيزاً لشرعية حكمه، وتأكيداً لسلطته، أراد الخليفة المأمون العباسي إدخال الإمام الرضا عليه السلام وإشراكه في الحكم، فاختاره ولياً للعهد، لكن الإمام الرضا اعتذر عن القبول وامتنع، لولا ضغط المأمون وإلحاحه، فوافق الإمام الرضا على المشاركة الرمزية الاسمية، دون أن يتحمل أي مسؤولية تنفيذية عملية.

وتشير بعض المصادر التاريخية، إلى أن المأمون عرض على الإمام علي الرضا أن يتنازل له عن الحكم، ويوليه الخلافة، لكن الإمام الرضا رفض ذلك رفضاً باتاً. قال ابن كثير في البداية والنهاية: «كان المأمون قد همَّ أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك، فجعله ولي العهد من بعده»[٣].

موقف أهل البيت

إذا كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يرون في أنفسهم الأحقية والجدارة

---

(١) باقر شريف القرشي. عصر الإمام الصادق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص٧٧.

(٢) المصدر نفسه. ص٧٤.

(٣) البداية والنهاية. ج١٠ ص٢٦٥.

لقيادة الأمة، فلماذا لم يقتنصوا الفرص لتولي السلطة؟ ولماذا اتسم موقفهم بالترفع والعزوف عن خوض غمار العمل السياسي؟

يمكننا أن نفهم موقف الأئمة على ضوء الحقائق التالية:

إن المهمة الأولى والأساس لأئمة أهل البيت عليهم السلام، هي حفظ الرسالة، وتبيين الشريعة، أما تحمل أعباء الحكم والسلطة فهي مهمة ثانية ثانوية، قياساً للمهمة الرسالية الأولى. فإذا ما تعارضت المهمتان، كما حصل بسبب الأطماع السياسية، والصراعات المصلحية، فإن الأولوية عندهم للمهمة الأولى.

وقد كتب الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه اللّه، حول هذا الموضوع، بحثاً علمياً رائعاً، في كتابه (نظام الحكم والإدارة في الإسلام) تحت عنوان (ماهية الإمامة ومسؤولية الإمام الأولى عند الشيعة) وخلاصة ما جاء فيه: إن المهمة التي تكوِّن ماهية الإمامة، وأساس تشريعها من اللّه تعالى في المعتقد والتشريع الإسلامي، عند الشيعة الإمامية، هي مهمة تتعلق بالإسلام نفسه، عقيدة وشريعة على مستوى الحراسة، والتبليغ، والتفسير والحفظ. وأما المهمة السياسية التنظيمية ـ مهمة الحكم السياسي ـ فتقع في الدرجة الثانية من مهمات الإمام، ولا تكوِّن ماهية الإمامة، بل يمكن أن تحول أسباب قاهرة بين الإمام وبين ممارستها، دون أن تتأثر ماهية الإمامة، والمهمة الأساس للإمام، وهي كونها استمراراً للنبوة من دون الوحي.

وبتفحص الروايات والنصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام حول

قضية الإمامة، نجد أنها تركز على المهمة الأولى، من حيث ضرورتها، وحاجة الدين والأمة لها، وأهلية الأئمة دون غيرهم للتصدي لها، أما البعد الآخر المتصل بتصدي الإمام للحكم والسلطة، فلم يحظَ إلا بعدد قليل من الروايات والنصوص.

واستعرض الشيخ شمس الدين نصوص الإمامة في مصدرين شيعيين أساسيين هما كتاب (الكافي) للشيخ الكليني (توفي ٣٢٨هـ)، وكتاب (علل الشرائع) للشيخ الصدوق (توفي ٣٨١هـ)، ليؤكد تركيزها على الجانب الأول، وكثرة وكثافة النصوص حوله. وبعضها ظاهر في أولويته[١].

الطريق الشرعي

وإذا كان الحكم والسلطة وظيفة من وظائف الإمامة، ووسيلة لتمكينها من تحقيق أهدافها وتطلعاتها الرسالية، إلا أن طريق الوصول إلى الحكم، وآلية استلام السلطة، يجب أن يكون منسجماً مع مفاهيم الإسلام وتشريعاته، فليس الحكم مطلوباً بأي ثمن، وبأي وسيلة، ولو كانت مخالفة لقيم الإسلام وأحكامه.

لذلك رفض الأئمة ﷺ الأساليب الملتوية في الصراع السياسي للوصول إلى الحكم، ولم يرضوا لأنفسهم تسنّم عرش السلطة عن طريق الفرض والقوة، ولا عبر المؤامرات والدسائس، بل التزموا منهجية

---

(١) محمد مهدي شمس الدين. نظام الحكم والإدارة في الإسلام، الطبعة الثانية ١٩٩١م، (بيروت: المؤسسة الدولية)، ص ٣٢٥ ـ ٣٦٢.

الوضوح والنزاهة، واحترام إرادة الأمة واختيارها، وإن أدى ذلك إلى فقدان المكاسب السياسية، وفوّت الامتيازات والمصالح. فالمبدئية وسيلة وهدف..

وإلى هذه الحقيقة يشير الإمام علي عليه السلام بقوله: «واللّه ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس»[1].

وفي مورد آخر يقول عليه السلام: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه! واللّه لا أطور به ما سمر سمير، وما أمَّ نجم في السماء نجماً»[2].

ويبدو أن اختيار الأمة ورضاها، هو الطريق المشروع الذي يقبله الإمام، لممارسة دور الحكم والقيادة، وليس القوة أو التآمر أو الثورات والانقلابات، يقول الإمام علي عليه السلام: «وقد كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله عهد إليَّ عهداً فقال: يا ابن أبي طالب لك ولاء أمتي، فإن ولَّوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه»[3].

وحدة الأمة

ليس هناك شيء أخطر على وحدة الأمة، وتماسك المجتمع، من

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه. خطبة ١٢٦.

(٣) الشيخ حسين علي المنتظري. دراسات في ولاية الفقيه ج١، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، (بيروت: الدار الإسلامية) ص٥٠٥.

الصراعات السياسية، التي بسببها تتحول الأمة الواحدة إلى شيع وأحزاب، وتكون مدخلاً للتمزق والاحتراب الأهلي، حيث تراق الدماء، وتنتهك الحرمات، وينعدم الأمن والاستقرار.

ومع إيمان أئمة أهل البيت عليهم السلام بحقهم في القيادة والحكم، إلا أنهم تنازلوا عن الأخذ بذلك الحق، حين كان يستلزم احتراباً داخلياً، فقد عصمهم ورعهم وحرصهم على وحدة الأمة، من خوض الصراعات السياسية، والسعي للمغالبة على السلطة والحكم.

ينقل ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة خطبة للإمام علي عليه السلام يقول فيها: «فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام»[(١)].

نهضة الإمام الحسين

كيف يمكن فهم نهضة الإمام الحسين عليه السلام على ضوء ما سبق من الحقائق؟ فالإمام الحسين كسائر الأئمة الهداة، حريص على وحدة الأمة، ملتزم بالنهج الشرعي، بعيد عن الدوافع الذاتية المصلحية، يعطي أولوية للدور الرسالي في تبليغ الشريعة وحفظها وحمايتها. فلماذا حصل في عهده ما لم يحصل في عهود بقية الأئمة، من صدام مع السلطة، أدَّى إلى شهادته بتلك الصورة الفظيعة؟

إن من يدرس ذلك المقطع التاريخي، ويتأمل ظروفه وأحداثه،

---

(١) عبد الحميد بن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة، ج١، ١٩٨٧م، (بيروت: دار الجيل)، ص٣٠٨.

يدرك أن الظرف الحسيني كان ظرفاً استثنائياً، للملاحظات التالية:

١. تولي يزيد بن معاوية للخلافة بتوريث من أبيه كان تدشيناً لحقبة جديدة تخالف ما ألفته الأمة.

٢. شخصية يزيد كانت مجمعاً للعديد من الصفات السيئة، وكان يجهر بمخالفاته وانحرافاته، وقد نقل المؤرخون ومنهم الطبري: أن وفداً من أهل المدينة فيهم عبد اللّه بن حنظلة الأنصاري ـ غسيل الملائكة ـ وعبد اللّه بن أبي عمرو والمنذر بن الزبير، ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة، قدموا على يزيد بن معاوية، فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم، ثم انصرفوا من عنده، وقدموا المدينة عدا المنذر بن الزبير، فأظهروا شتم يزيد وعتبة وقالوا: إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخُرَّاب والفتيان[1].

٣. وجود قاعدة عريضة من الأمة طالبت الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ بالتصدي للأمر، وهم أهل الكوفة، بعددهم الوفير، وتاريخهم القتالي، فقد وصلته منهم آلاف الرسائل، والعديد من الوفود، تستحثه للقدوم عليهم، وقبول بيعتهم، مما جعل الحسين أمام مسؤولية شرعية، ولم يحصل لإمام من الأئمة مثل هذا التجاوب الجماهيري، بعد أبيه علي وأخيه الحسن، واللذين

---

(١) تاريخ الطبري. ج٤، ص٣٦٨.

استجابا بدورهما، وتصديا لتحمل المسؤولية، بناءً على طلب الناس وقبولهم. فكان لا مناص للحسين أن يستجيب، وإلا فسيكون محاسباً أمام التاريخ والأمة، كيف فوَّت الفرصة ولم يتحمل المسؤولية؟

وعلمه بالنتائج لا يبرر عدم العمل بظواهر الأمور.

٤. مع كل ذلك فقد سعى الإمام الحسين لتلافي الاصطدام مع الجيش الأموي، وعرض عليهم في أكثر من موقف أن يتركوه ينصرف إلى ثغر من الثغور، أو يعود إلى المدينة، لكنهم أصروا عليه أن يستسلم لهم، ويبايع يزيد ذليلاً، فلما رفض ذلك شنوا هجومهم عليه.

ففي أول خطاب له، أمام أول فرقة قابلته من الجيش الأموي، بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، قال عليه السلام: «إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت بها عليَّ رسلكم، أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام، ولعل اللّه أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، وإن كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم»[1] وفي خطبته يوم العاشر من المحرم قال لهم: «أيها الناس: إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض»[2].

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن محادثات جرت بين الإمام

---

(١) باقر شريف القرشي. حياة الإمام الحسين بن علي، ج٣، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: دار البلاغة)، ص٧٥.

(٢) المصدر نفسه. ص١٨٧.

الحسين عليه السلام، وبين قائد الجيش الأموي عمر بن سعد، انتهت بالتوافق على رجوع الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة أو المدينة أو بعض الثغور، فكتب ابن سعد إلى ابن زياد بذلك، الذي كاد أن يوافق على الأمر لولا إفساد شمر بن ذي الجوشن لهذه المهمة، وتشجيعه ابن زياد على رفض هذه الفكرة، والإصرار على القتال[١].

ثورات العلويين

أما ثورات العلويين فلم يتزعمها أحد من الأئمة، وفي بعض الأحيان كان الأئمة ينصحون قادة تلك الحركات بالعدول عن موقفهم الصدامي، لكن الضغوط الهائلة التي كانت تنهال على العلويين وأتباعهم من قبل الحاكمين، كانت تسبب الانفجار، وتدفع إلى المواجهة.

وبدراسة متأنية لكل ثورة من تلك الثورات، يتبين دور الظروف الخارجية في انطلاقها، كما يتضح موقف الحذر والابتعاد من قبل الأئمة عن مباشرة أي دور فيها، أو إظهار أي تأييد لها. بالطبع كان الأئمة يتفهمون مبررات تلك الحركات، ويتألمون لما ينال الثائرين من مآس وفظائع، ويثنون على المخلصين منهم.

معركة الوعي

وإذا لم يكن الصدام والمواجهة مع الواقع القائم نهجاً للأئمة عليهم السلام، فإن ذلك لا يعني تخليهم عن أي مسؤولية أو دور تجاه الواقع السياسي،

---

(١) المصدر نفسه. ص ١٢٨، ١٣٠.

فهم معنيون بتبيين مفاهيم الإسلام وتشريعاته في مختلف ميادين الحياة، والشأن السياسي له موقعيته وأهميته الدينية والفعلية، من هنا تصدى الأئمة لتوعية الأمة بمسؤولياتها على هذا الصعيد، بالتأكيد على قيم الإسلام ومبادئه التي تحكم السلطة السياسية، وبالتحذير من الاستبداد والظلم والتجاوز على حقوق الرعية، وبتحميل جمهور الأمة مسؤوليتهم تجاه مجريات الأمور، وتوجيه الناس إلى القيادة الشرعية بمواصفاتها ومقاييسها المطلوبة، فتربّت على أيديهم أجيال مؤمنة بحقهم ونهجهم، وتكونَّ تيار جماهيري في الأمة متمسك بإمامتهم ومرجعيتهم، أخذ في الاتساع والانتشار، رغم الضغوط والعوائق. كما قدموا للأمة وللبشرية جمعاء نموذجاً مشرقاً في العمل السياسي الملتزم بالمبادئ والقيم، وحفظوا رؤية الإسلام، ومعالم شرعته، من تأثير واقع الصراعات السياسية المصلحية.

الأئمة وحكومات عصورهم

كيف تعاطى أئمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ مع حكومات عصورهم التي عاشوا في ظلها ما يقرب من مئتين وخمسين عاماً؟

هل أعلنوا ضدها الكفاح المسلح؟

أم اعتزلوا الساحة وتركوا الشأن العام منشغلين بالعبادة والعلم؟

أم كان لهم مستوى من التعاطي والتعامل مع الواقع السياسي القائم؟

الأئمة يرون أن إمامة الدين وقيادة الأمة منصب إلهي، لا تكون إلا بالتأهيل والتعيين من قبل اللّه تعالى، عبر رسوله المصطفى ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾، وأن اللّه تعالى قد منحهم هذا المقام، بعد أن اختصهم بمؤهلاته، وبالتالي فإن من تسلموا مقاليد الحكم قد احتلوا مواقع الأئمة، التي جعلها اللّه لهم.

كما أن أولئك الحاكمين من أمويين وعباسيين، لم يأتوا برضا الأمة واختيارها، وإنما عن طريق القوة والغلبة، وعبر التوارث العائلي للسلطة والحكم، ولم يسيروا في حكمهم وفق تعاليم الشرع ومناهج العدل.

لذلك من الطبيعي أن يكون موقف الأئمة مخالفاً لتلك الحكومات، التي مارست عليهم مختلف ضغوطاتها لرفضهم السير في ركابها.

لكن مخالفة الأئمة لحكومات عصورهم، لم تدفعهم لتبني منهج العنف والكفاح المسلح، كما هو رأي فرقة الخوارج، ورأي الزيدية، لعدم صحة هذا المنهج وصلاحيته في نظر الأئمة، إلا كحالة اضطرارية يفرضها ظرف استثنائي.

كما لم يختاروا لأنفسهم طريق العزلة والانكفاء، والإعراض عن قضايا الأمة، فسيرتهم وتاريخ حياتهم ينبض بالحركة والنشاط في مختلف المجالات، مما يعني حضورهم وتواجدهم في ساحة الأمة، وذلك يقتضي ـ بطبيعة الحال ـ مستوى من التعامل والتعاطي مع السلطات الحاكمة في عصورهم.

ضرورة التعاطي

مع مخالفة الأئمة لسياسات تلك الحكومات، وتحفظاتهم على أشخاص الحاكمين، إلا أن التعاطي والتعامل مع الواقع القائم كان مفروضاً في بعض الأوقات، حيث يضطر الإمام إلى المجاراة والمداراة، وكان ضرورياً في غالب الأحيان، وذلك لحماية الوجود الاجتماعي التابع لأهل البيت عليهم السلام وحفظ مصالحه.

فالأئمة وشيعتهم كوجود اجتماعي له ضروراته المعيشية، ومصالحه العملية، التي تستلزم نوعاً من العلاقة والارتباط مع السلطة، لتوفير تلك الضرورات، وحماية المصالح، حيث تمثل السلطة قوة مركزية مهيمنة، يصعب تسيير كثير من أمور الناس مع اعتراضها.

وليس مطلوباً من شيعة أهل البيت أن يعيشوا الضيق والعسر والتهميش ما وجدوا لدفع ذلك سبيلاً، فمبادئ الشريعة قائمة على أساس رفع الحرج والعسر عن المكلفين، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

وما أحكام التقية التي تعني الحفاظ على النفس والمال والعرض، ضمن تفاصيلها المذكورة في الفقه إلا شاهد على هذه الحقيقة.

من ناحية أخرى، فإن الأئمة يهمهم حفظ مصالح الإسلام والأمة، وإذا كان قد انتزع منهم حقهم في القيادة والزعامة، فإن ذلك لا يعني عدم مبالاتهم بقضايا المصلحة العامة للدين والمجتمع الإسلامي.

لذلك كانوا لا يترددون في القيام بأي دور، وإبداء أي رأي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وحفظ ما يمكن حفظه من مصالح المسلمين، ولارتباط الشؤون العامة بالسلطة، فإن الأئمة كانوا يتعاطون معها من أجل تصحيح بعض السياسات، وترشيد بعض المواقف، وتقديم الرأي

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

الصائب، وتبيين المفاهيم والتشريعات الإسلامية.

بين الرسالية والعاطفة

لا ينطلق الأئمة في مواقفهم وعلاقاتهم من موقع العاطفة والانفعال، وليست لهم مصالح ذاتية يتمحورون حولها، فأولويتهم خدمة الرسالة ومصلحة الأمة، لذلك فهم لا يعبأون بما يقع على ذواتهم من حيف وتجاوز، ولا يجعلون منه حاجزاً يمنع تعاطيهم مع خدمة المصالح العامة.

فإبعادهم عن موقع الخلافة، والعدوان على بعض حقوقهم المعنوية والمادية، لم يتحول إلى عقدة في نفوسهم، تدفعهم إلى المقاطعة والانسحاب، أو تجعلهم يتصرفون تجاه الحكام من وحي الحقد الشخصي وحب الانتقام.

يقول الإمام علي عليه السلام عند بيعة الخليفة عثمان: «لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، ووالله لأُسلِمَن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»[١].

إن البعض يتصور خطأً أن الأئمة عليهم السلام كانوا يعيشون نوعاً من القهر والغضب الشخصي تجاه الحاكمين، وبناءً على هذا التصور يقاطعون حتى أسماء هؤلاء الخلفاء والحاكمين، بينما لو راجعنا سيرة الأئمة عليهم السلام

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٧٤.

لوجدنا أنهم يسمُّون أبناءهم بتلك الأسماء.

فالإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام المعاصر للخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي نال منه الكثير من الضيم والاضطهاد، حتى استشهد في سجونه، هذا الإمام له ولد اسمه: هارون، وولد آخر اسمه: عبيد اللّه، كما أن إحدى بناته اسمها: عائشة[(١)].

وللإمام محمد الباقر عليه السلام ولد اسمه: عبيد اللّه[(٢)].

ومن أسماء أولاد الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: عمر وعبدالرحمن[(٣)].

وفي أولاد الإمام الحسن بن علي عليه السلام من اسمه: عمرو، وعبدالرحمن، وطلحة[(٤)]، وأبو بكر[(٥)].

كما سمّى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أحد أولاده باسم: عمر، وسمى آخر: عثمان، وله ولد كنيته: أبو بكر[(٦)].

وكانت هناك صلات تداخل عائلية عبر المصاهرة بين أُسرة أهل

---

(١) الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان. الإرشاد في معرفة حجج اللّه على العباد، ج٢، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، (بيروت: دار المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث)، ص٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه. ص١٧٦.

(٣) المصدر نفسه. ص١٥٥.

(٤) المصدر نفسه. ص٢٠.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني. مقاتل الطالبيين، (بيروت: دار المعرفة، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر)، ص٩١.

(٦) الإرشاد في معرفة حجج اللّه على العباد. ج١ ص٣٥٤.

البيت ﴿عليهم السلام﴾ وبين عوائل بعض الخلفاء والحاكمين، فالإمام علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ تزوج أسماء بنت عميس التي كانت زوجة للخليفة الأول أبي بكر بعد وفاته عنها، وقد تربى محمد بن أبي بكر في أحضان الإمام علي.

كما أن الخليفة الثاني عمر تزوج أم كلثوم بنت الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ حسبما ورد في بعض المصادر الشيعية، وأيده الشريف المرتضى وعلماء آخرون، بينما أنكر ثبوته الشيخ المفيد وآخرون[1].

وتزوج الإمام الحسين ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وهي سبط لأبي سفيان بن حرب بن أمية، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان، لذلك فإن عليًّا الأكبر ابن الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾، خال أمه معاوية، ويزيد ابن خالها. وقد حاول عمر بن سعد الاستفادة من صلة القرابة هذه يوم عاشوراء، فبعث رجلاً من أصحابه ينادي عليًّا الأكبر ليقول له: «إن لك قرابة بأمير المؤمنين ـ يعني يزيداً ـ ونريد أن نرعى هذا الرحم، فإن شئت آمناك؟» فسخر منه علي بن الحسين وصاح به: « لقرابة رسول اللّه أحق أن ترعى»[2].

وأم الإمام جعفر الصادق هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر حفيدة الخليفة الأول أبي بكر. وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، لذلك ورد عن الإمام جعفر قوله: «ولقد ولدني

---

(١) محمد الريشهري. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج١، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (قم: دار الحديث)، ص١٢٧.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي. ج٣ ص٢٤٤.

أبو بكر مرتين»[١].

كل هذه الأمور تؤكد أن علاقة الأئمة مع الخلفاء والحاكمين في عصورهم كانت تتجاوز الانفعالات الشخصية، مع وضوح موقف الأئمة المبدئي من تلك الحكومات، لكن أخلاقهم السامية، واهتمامهم بالمصلحة العامة، هي التي توجه تعاطيهم وتعاملهم مع الحاكمين.

منحى التواصل

لموقف الأئمة المبدئي من تلك الحكومات فإنهم لا يقبلون أن يكونوا جزءاً منها، ولا أن يسبغوا عليها التأييد، ومع تبيين موقفهم هذا لأتباعهم، إلا أن التاريخ ينقل عنهم حالات من التواصل واللقاءات مع حكام زمانهم، بعضها بإرادة أولئك الحاكمين، والبعض الآخر بمبادرة من الأئمة، كما يظهر من سياق الروايات التاريخية، وتهدف هذه اللقاءات إلى تخفيف الضغوط على الأئمة وشيعتهم، وإلى تقديم التوجيه والنصح للحاكمين، وخدمة مصالح الرسالة.

ففي حياة الإمام الحسن بن علي ﷺ يقول الشيخ القرشي: «اتفق جمهور المؤرخين أن الإمام الحسن ﷺ قد وفد على معاوية في دمشق، واختلفوا في أن وفادته كانت مرة واحدة أو أكثر»[٢].

وفي حياة الإمام محمد الباقر ﷺ يتحدث الشيخ القرشي عن دعوة

---

(١) علي بن عيسى الأربلي. كشف الغمة ج٢، (بيروت: دار الأضواء)، ص٣٧٤.

(٢) باقر شريف القرشي. حياة الإمام الحسن بن علي ج٢، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ، (قم: دار الكتب العلمية)، ص٣٠٣.

الخليفة عمر بن عبدالعزيز للإمام الباقر فيقول: «فاستجاب له الإمام وسافر إلى دمشق، فاستقبله عمر استقبالاً رائعاً، واحتفى به، وجرت بينهما أحاديث، وبقى الإمام أياماً في ضيافته»[١].

وينقل المجلسي في البحار عن (قرب الإسناد) كتاباً أرسله الإمام موسى الكاظم عليه السلام إلى الخيزران أم هارون الرشيد يعزيها بوفاة ولدها الخليفة موسى الهادي ويهنيها بخلافة ولدها هارون[٢].

كما أورد الصدوق في عيون أخبار الرضا وصفاً مفصلاً لزيارة قام بها الإمام موسى الكاظم للخليفة هارون الرشيد، عندما قدم إلى المدينة، عند ذهابه للحج، وكيف استقبله هارون وأجلّه وحادثه، ثم تفقد أمور عياله، وقدّم له مبلغاً من المال[٣].

ولا تكاد تخلو حياة إمام من مثل هذه المشاهد. وهي تعطي صورة عن بعد من أبعاد تعاطي الأئمة مع الحاكمين.

تقديم الرأي والنصيحة

من الطبيعي أن يواجه الخلفاء والحكام وأن تواجه الأمة، مشاكل وتحديات، في تسيير أمور الدولة الإسلامية الناشئة، والمجتمع الإسلامي الجديد، فهناك إشكالات فكرية، تنشأ من الاحتكاك بثقافات الأمم

---

(١) باقر شريف القرشي. حياة الإمام محمد الباقر ج٢، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: دار البلاغة)، ص٥١.

(٢) بحار الأنوار. ج٤٨ ص١٣٤.

(٣) محمد بن علي بن بابويه القمي. عيون أخبار الرضا ج٢، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص٨٤.

الأخرى، وهناك مسائل مستجدة في قضايا المجتمع والحياة، تحتاج إلى استنباط رؤية الإسلام وأحكامه فيها، كما أن بناء أجهزة الدولة، وتحديد مواقف السلطة، في الشؤون المختلفة الداخلية والخارجية، تطرح تساؤلات خطيرة.

وأئمة أهل البيت عليهم السلام بتميزهم العلمي، وبصيرتهم الثاقبة، وإخلاصهم للدين والأمة، يمثلون الجهة الأقدر على مواجهة هذه التحديات، والإجابة على الإشكالات.

ولا بد أنهم يشعرون بالمسؤولية تجاه الدين والأمة، ويسعون جاهدين لسدّ الثغرات، ومعالجة المشاكل، ما وجدوا لذلك سبيلاً، وإذا لم يكونوا في موقع القيادة الفعلية، فإنهم لا يبخلون بتقديم رأيهم ومشورتهم للحاكمين، من أجل إصلاح الممكن، ودعم الكيان الإسلامي، في مواجهة التحديات.

وتتحدث المصادر التاريخية عن مواقف عديدة أبدى فيها الأئمة آراءهم للخلفاء والحاكمين، بطلب منهم، حيث يرجعون إلى الأئمة مستشيرين مستفتين، أو بمبادرة من الأئمة حينما تقتضي المصلحة العامة.

علي والخلفاء

تحت هذا العنوان ألف أحد علماء العراق المعاصرين هو الشيخ نجم الدين العسكري كتاباً قيماً طبع سنة ١٣٨٠هـ في ٣٢٤ صفحة، جمع فيه المواقف والموارد التي بذل فيها الإمام رأيه للخلفاء، فيما كانوا

يواجهونه من مشكلات وتحديات في الميادين المختلفة، معتمداً على المصادر الحديثية والتاريخية من السنة والشيعة.

وقد أحصى عشرة من تلك المواقف في عهد الخليفة الأول أبي بكر، منها ما نقله عن تاريخ اليعقوبي قال: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول اللّه ﷺ فقدموا وأخروا فاستشار علي بن أبي طالب فأشار أن يفعل وقال: إن فعلت ظفرت، فقال أبو بكر: بشرت بخير. فقام أبو بكر في الناس خطيباً وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم[١].

ومنها ما نقله عن كنز العمال أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق أنه وُجد رجل في بعض ضواحي العرب يُنكح كما تنكح المرأة، وأن أبا بكر جمع لذلك ناساً من أصحاب رسول اللّه ﷺ وكان فيهم علي بن أبي طالب، أشدهم يومئذ قولاً، فقال: إن هذا ذنب لم تعمل به من الأمم إلا أمة واحدة فصنع اللّه بها ما قد علمتم. أرى أن تحرقوه بالنار. فكتب إليه أبو بكر أن يحرق بالنار[٢].

ومنها ما نقله عن الرياض النضرة بسنده عن ابن عمر أن اليهود جاءوا إلى أبي بكر يسألونه عن شيء من صفات رسول اللّه ﷺ فأحالهم إلى علي بن أبي طالب فأجابهم.

أما عن عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فقد أثبت المؤلف إحدى

---

(١) أحمد بن أبي يعقوب الكاتب بن واضح الاخباري. تاريخ اليعقوبي ج٢، ١٩٦٤م، (النجف: المطبعة الحيدرية)، ص١٢٣.

(٢) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، حديث ١٣٦٤٣.

وتسعين قضية استشار الخليفة فيها الإمام علياً، أو بادر الإمام إلى طرح رأيه حولها. وهي قضايا متنوعة في مجالات السياسة والحكم والاقتصاد ومجالات الفكر والتشريع.

كاستشارة الخليفة له في التصرف فيما يفضل من بيت مال المسلمين، وفي مقدار ما يأخذه الخليفة له ولعياله، وفي حكم بيع حلي الكعبة أو تقسيمه، وفي تعيين حدِّ الشارب للخمر.

وذكر شورى الإمام علي للخليفة عمر بأن يذهب بنفسه لفتح بيت المقدس.

وكان لعلي رأي في تقسيم سواد الكوفة أخذ به الخليفة عمر. وكذلك في تعيين ابتداء التاريخ الهجري حيث نقل عن كنز العمال من تاريخ البخاري ومن مستدرك الحاكم وعن تاريخ الخلفاء للسيوطي: أن أول من كتب التاريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته بمشورة علي بن أبي طالب.

كما أشار عليٌّ على الخليفة عمر أن لا يذهب بنفسه لمحاربة الفرس خلافاً لرأي جمع من الأصحاب، فأخذ الخليفة برأي علي.

وقد نقلت مختلف المصادر عن الخليفة عمر قوله: لولا علي لهلك عمر، وقوله: لا أبقاني اللّه لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقوله: قضية ولا أبو حسن لها. وهي تكشف عن مدى الدعم والمساندة التي قدمها الإمام علي للدولة الإسلامية في عهد الخليفة عمر.

وعن عهد الخليفة عثمان نقل المؤلف عشر قضايا، راجع فيها الخليفة

الثالث الإمام علياً. كما أن كتب التاريخ نقلت نصائح الإمام للخليفة ودفاعه عنه عند الفتنة التي حدثت في عهده وأدّت إلى مقتله.

وحتى معاوية بن أبي سفيان ومع تمرده على السلطة الشرعية للإمام علي، إلا أن الإمام لم يبخل عليه بالرأي، وخصوصاً في الإجابة عن مسائل في التشريع، وفي دفع إشكالات غير المسلمين، وأثبت المؤلف سبعة مواقف في هذا المجال.

وقد حصلت مثل هذه المواقف لسائر أئمة أهل البيت مع خلفاء زمانهم، نأمل أن يتصدى بعض المحققين لجمعها، كما فعل الشيخ نجم الدين العسكري بخصوص سيرة الإمام علي، لتبيين جهود الأئمة وسعيهم في تسديد مواقف الحاكمين، وخدمة مصلحة الدين والأمة.

رفد الدولة بالكوادر

كان الأئمة يشجعون بعض تلامذتهم وأتباعهم من ذوي الكفاءة والإخلاص، أن يدخلوا في أجهزة الدولة، للدفاع عن مصالح الإسلام، وحقوق الناس، وما ورد عنهم من النهي عن الدخول في مؤسسات الحكومات، إنما يخص مجالات الظلم والعدوان، وكذلك ذوي النفوس الضعيفة الذين يخشى عليهم من الذوبان والتأثر بالأجواء السلطوية.

لقد كان سلمان الفارسي والياً على المدائن من قبل الخليفة عمر[1].

---

(١) بحار الأنوار. ج٢٢ ص٣٧٤.

وكذلك كان عمار بن ياسر أميراً على الكوفة من قبل الخليفة عمر[١]، كما بعثه الخليفة عثمان مفتشاً إلى مصر للنظر في أوضاع الولاة[٢].

وموسى بن نصير القائد العسكري المحنك صاحب الفتوحات العظيمة في بلاد المغرب، حيث كان طارق بن زياد مولى له يعمل تحت إمْرته وتوجيهه، هذا الرجل كان من خواص أتباع أهل البيت عليهم السلام، وله موقعيته العسكرية الكبيرة في الدولة الإسلامية أيام سليمان بن عبد الملك[٣].

وكان عبد اللّه بن النجاشي من أصحاب الإمام جعفر الصادق والياً على الأهواز من قبل المنصور العباسي[٤].

أما علي بن يقطين فشأنه معروف، حيث كان وزيراً لهارون الرشيد، وله مكانة كبيرة عند الإمام موسى الكاظم، وقد رغب في ترك منصبه لكن الإمام أصرَّ عليه أن يبقى فيه، وقال له: «لا تفعل فإن لنا بك أنساً، ولإخوانك بك عزاً، وعسى اللّه أن يجبر بك كسيراً، أو يكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه»[٥].

وكذلك داود بن زربي الذي قال عنه الشيخ المفيد: أنه من خاصة

---

(١) تاريخ الطبري. ج٣ ص٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه. ج٣ص٣٧٩.

(٣) الإمامة والسياسة. ج٢، ص٧٥.

(٤) آقا بزرك الطهراني. الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج٢، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص٤٨٥.

(٥) باقر شريف القرشي. حياة الإمام موسى بن جعفر ج٢، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: دار البلاغة)، ص٢٨٦.

الإمام الكاظم وثقاته، ومن أهل الورع والعلم والفقه، وتشير كتب الرجال إلى أن له خاصية بالخليفة هارون الرشيد، وأن الإمام الكاظم كان حريصاً على بقاء هذه العلاقة وحمايتها[1].

إلى أسماء أخرى عديدة من تلامذة الأئمة وأصحابهم في مختلف العهود كانوا يتبؤون مواقع في أجهزة السلطة والحكم، أو لهم علاقة طيبة مع الحاكمين.

نحو دراسة موضوعية

غالباً ما تطرح سيرة الأئمة عليهم السلام من خلال نظرة أحادية، تركز على بعد وتغفل الأبعاد الأخرى الموازية، فهناك من يتناول سيرتهم من منظار ثوري جهادي، فيبرز حياة الأئمة وكأنها احتراف للمعارضة والرفض، لا يوجد فيها أية مؤشرات للتعاطي مع الواقع القائم.

وهناك من يصوّر حياة الأئمة وكأنها عالم من المآسي والظلامات والاضطهاد، لا وجود فيه لأي إنجاز أو مشاركة إيجابية، حيث تتلخص حياة كل إمام في معاناته والمصائب التي حلت به.

وقد يطرح البعض حياة الأئمة في المنحى العلمي والعبادي وكأنهم لا شأن لهم في السياسة والثورة، ولا اهتمام لهم بالقضايا العامة.

وقد يبالغ البعض في التوجهات السلمية لأهل البيت عليهم السلام، وكأنهم ضد المقاومة للظلم، والثورة على الطغيان، وأنهم مع الخضوع لسلطات

---

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ج٢، ص٢٤٨.

الجور والقبول بها.

إن هذه الطروحات الأُحادية النظرة لا تقدم صورة موضوعية شاملة لحقيقة سيرة الأئمة ومواقفهم، وقد تصبح كل واحدة من هذه الطروحات مبرراً لتوجه حادّ لا يأخذ بعين الاعتبار سائر الجوانب والأبعاد.

إن تسليط الأضواء على العلاقة والتعامل الإيجابي الذي كان بين الأئمة وحكومات عصورهم، لا يعني التجاهل لموقف الأئمة المبدئي تجاه تلك الحكومات، ولا يعني التنكر للجوانب الأخرى التي تتمثل في مواقف المخالفة والاعتراض من قبل الأئمة، أو الإساءة والاعتداء الواقع عليهم من بعض أولئك الحاكمين.

لكن المقصود من بحث هذا الموضوع رسم الجانب الآخر من الصورة، الذي قد يكون مهملاً أو متجاهلاً، لتكون الصورة موضوعية كاملة، تستفيد منها الأجيال المعاصرة بما يساعد على تنمية الوعي، وتطوير الممارسة السياسية الاجتماعية.

إن تنوع مواقف أهل البيت من الواقع السياسي، نابع من اختلاف الظروف والأوضاع، فكل ظرف يقتضي موقفاً يناسبه، من أجل خدمة المصلحة العامة للدين والأمة، وليس انطلاقاً من المصالح الشخصية أو الفئوية، فهناك ثبات في القيم، ومرونة في الممارسة السياسية، في إطار خدمة القيم والمصالح العامة.



الكاظم خلق ومنهجية

يصادف الخامس والعشرون من شهر رجب ذكرى شهادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام التي كانت سنة ١٨٣هـ، وهو في الخامسة والخمسين من عمره.

والإمام موسى هو السابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد ولد سنة ١٢٨هـ، أواخر الدولة الأموية، التي انهارت سنة١٣٢هـ على أيدي العباسيين.

نشأ وتربى في ظل أبيه الإمام جعفر الصادق، الذي أتاحت له الظروف آنذاك القيام بحركة علمية كبيرة، مستثمراً ضعف الدولة الأموية الآفلة، والدولة العباسية الناشئة، فاهتم بتربية الكفاءات العلمية في مختلف التخصصات، حتى بلغ عدد تلامذته والرواة عنه أربعة آلاف، حسبما ذكر العديد من المؤرخين.

قال ابن حجر: نقل الناس عنه (الإمام جعفر) من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر، كيحيى بن سعيد، وابن جريج، والسفيانين، وأبي حنيفة، وشعبه، وأيوب السختياني[١].

في هذه الأجواء العلمية عاش الإمام موسى مع أبيه الإمام جعفر عشرين سنة، حيث التحق الإمام الصادق بالرفيق الأعلى سنة ١٤٨هـ، فآلت إليه زعامة البيت النبوي، والإمامة الدينية. وتحمل أعباءها لمدة خمسة وثلاثين عاماً.

بالطبع لم تعد الظروف مهيأة ومناسبة كما كانت في عهد أبيه الإمام جعفر، بل واجهته المتاعب والضغوط من قبل الحكم العباسي، الذي توطدت أركانه، إلاّ أنه واصل القيام بمسؤولياته الدينية والعلمية إلى أقصى حدٍّ تسمح به الظروف، وبلغ عدد من ذكره المؤرخون من تلامذته والراوين عنه ٣١٩ شخصاً، أثبت أسماءهم وترجماتهم الباحث القرشي في كتابه عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام[٢].

الكاظم

من الطبيعي أن يتصف الإمام موسى بمختلف صفات الفضل والكمال، فهو من أهل بيت قد أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وقد تحدث معاصروه، ومن قرأ سيرته من العلماء والمؤرخين،

---

(١) الصواعق المحرقة. ج٢ص٥٨٦.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر. ج٢ ص٢٢٥-٣٧٤.

عما تجسّده شخصيته من مثل عليا، وقيم سامية، حتى أصبحت بعض مكارم أخلاقه لقباً له، وعلماً عليه.

يقول ابن الجوزي في صفة الصفوة: «موسى بن جعفر رضي الله عنهما، كان يدعى العبد الصالح، وكان حليماً كريماً، إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال»[١].

ومن أشهر ألقابه التي يعرف بها: الكاظم. قال ابن حجر الهيتمي: «موسى الكاظم: وهو وارثه (الإمام جعفر الصادق) علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند اللّه، وكان أعبد أهل زمانه، أعلمهم وأسخاهم»[٢].

وقال ابن الأثير: «إنه عرف بهذا اللقب لصبره، ودماثة خلقه، ومقابلته الشر بالإحسان»[٣].

كظم الغيظ

كظم الغيظ صفة أخلاقية مهمّة تحدث عنها القرآن الكريم: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤].

---

(١) عبدالوهاب الأنصاري الشعراني. مختصر صفوة الصفوة ١٩٦٧م (مكة: مطبعة النهضة الحديثة)، ص١٧٨.

(٢) الصواعق المحرقة. ج٢ ص٥٩٠.

(٣) حياة الإمام موسى بن جعفر. ج١ ص٥٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

والكظم لغة مصدر قولهم: كَظَمَ يَكظِمُ تدل على معنى الإمساك والجمع للشيء، ومن ذلك الكظم للغيظ الذي يعني: اجتراع الغيظ والإمساك عن إبدائه، وكأنه يجمعه الكاظم في نفسه.

والغيظ لغة مصدر قولهم: غَاظَه يَغيظُه. جاء في لسان العرب: الغيظ: الغضب، وقيل هو أشد منه، وقيل: هو سَورَتُه وأوله.

أما اصطلاحاً فقال الطبري في تفسيره: الكاظمين الغيظ: يعني الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه. يقال: كظم فلان غيظه، إذا تجرعه فحفظ نفسه أن تُمضي ما هي قادرة على إمضائه، باستمكانها ممن غاظها، وانتصارها ممن ظلمها.

فحينما يواجه الإنسان إساءة تزعجه، أو تصرفاً يؤذيه أذى بالغاً من جهة ما، فينفعل نفسياً، ويمتلأ قلبه ألماً وغضباً، لكنه يسيطر على انفعالاته، ويكتم مشاعره الثائرة، فلا يبدي ولا يظهر أي ردِّ فعل انتقامي، بل ولا ينعكس غضبه حتى على قسمات وجهه، أو ألفاظ لسانه. هذا المستوى من الإرادة والتحكم وضبط الأعصاب، يطلق عليه كظم الغيظ.

ولا يصل الإنسان إلى هذه القمة الأخلاقية السامقة، إلا بدرجة متقدمة من الوعي، والنضج والتهذيب النفسي. حيث إن الطبيعة الأولية للإنسان تستجيب للمثيرات، وتندفع للانتقام، وتقع تحت تأثير الغضب والانفعال.

لذلك استحق الكاظم لغيظه من اللّه تعالى الثواب العظيم والتقدير

الكبير، جاء في الحديث عن ابن عمر عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ اللّه قلبه رجاءً يوم القيامة.

وفي حديث آخر عن ابن عمر أيضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ما من جرعة أعظم أجراً عند اللّه من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه اللّه)[١].

إن كظم الغيظ يدل على قوة الإرادة، وقدرة السيطرة على النفس، وتلك أهم من قوة العضلات، وهذا ما يؤكده الحديث الوارد عن أنس قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بقوم يصطرعون، فقال: ما هذا؟ قالوا: فلان ما يصارع أحداً إلا صرعه، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفلا أدلكم على من هو أشدّ منه؟ رجل كلمه رجل فكظم غيظه، فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه[٢].

وكظم الغيظ لا يتحقق من قبل الإنسان الضعيف أو الجبان، الذي لا يمتلك قوة الردّ، ولا شجاعة المواجهة، وإنما يصدق من المقتدر الجريء، الذي يقرر باختياره عدم الاستجابة للانفعال، مع قدرته على ذلك، وهذا ما تشير إليه النصوص الواردة: «لو شاء أن يمضيه أمضاه».

إن من يُساءُ إليه، ويعتدي على شيء من حقوقه، فينزعج ويُستفز ويغضب وهو يملك شجاعة المجابهة، لكنه يقرر لجم غضبه، وكبح جماح غيظه، لهدف أسمى، ومصلحة أهم، فهو الذي يتصف بهذه

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل. حديث ٦١١٦.

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى١٤١٨هـ، (الرياض: مكتبة دار السلام)، حديث ٦١١٦.

الصفة العظيمة: كظم الغيظ، وهو المستحق لثواب اللّه تعالى وثنائه، والجدير بالتقدير والإكبار.

الكاظم في أخلاقه

لقد جسد الإمام موسى بن جعفر هذا الخلق الرفيع في سيرته وحياته، حتى أصبح لقباً له مصاحباً لاسمه، ويذكر المؤرخون العديد من الشواهد والمواقف، التي ضرب الإمام موسى بن جعفر فيها أروع الأمثلة والنماذج على كظم الغيظ، في تعامله الشخصي مع الآخرين، وكانت نتيجة ذلك التعامل في الغالب التأثير في أولئك المسيئين وتحويلهم إلى محبين.

رووا أن شخصاً كان يسيء للإمام، ويكيل السب والشتم لجدِّه أمير المؤمنين عليه السلام، وحول الإمام أنصار وأتباع متفانون في الدفاع عنه، فأرادوا الانتقام من هذا الرجل بتصفيته واغتياله، فنهاهم الإمام عن ذلك، وكان يتحمل الإساءات المتكررة من ذلك الرجل، وذات يوم سأل الإمام عن مكانه، فقيل: إنه يزرع في بعض نواحي المدينة، فركب الإمام بغلته، ومضى إليه، فوجده في مزرعته، فأقبل نحوه، فصاح الرجل: لا تطأ زرعنا. وانتهى الإمام إليه، وجلس إلى جنبه، وأخذ يلاطفه، ويحدثه بأطيب الحديث، ثم قال له بلطف ولين: كم غرمت في زرعك هذا؟

قال الرجل: مئة دينار، فسأله الإمام: كم ترجو أن تصيب منه؟، قال الرجل: أنا لا أعلم الغيب، فقال الإمام: إنما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه؟، قال الرجل: أرجو أن يجيئني منه مائتا دينار.

فأعطاه الإمام ثلاثمائة دينار، وقال: هذه لك وزرعك على حاله[١].

بعد هذه الحادثة تغيّر موقف الرجل من الإمام، وأدرك أنه لا مبرر لحقده وسوء تعامله مع الإمام، فصار يبدي الاحترام والتقدير للإمام كلما التقاه.

في أول اعتقال للإمام من قبل الخليفة هارون الرشيد سنة ١٧٩هـ حمل الإمام من المدينة إلى البصرة، وأودع في السجن، تحت إشراف عيسى بن أبي جعفر، الذي كان بحسب وظيفته، وأوامر السلطة، يضيّق على الإمام في سجنه، لكن تعامل الإمام معه بلطف وإحسان، وما رآه من سيرة الإمام، وصدق أحاديثه وتوجيهاته، ولمدة سنة كاملة أوجدت تحولاً في موقفه فأصبح يظهر للإمام كل احترام وتقدير، وأخيراً اعتذر للخليفة هارون الرشيد عن تنفيذ مهمة اغتيال الإمام أو الاستمرار في سجنه، وكتب الرسالة التالية: «يا أمير المؤمنين، كتبت إليَّ في هذا الرجل، وقد اختبرته طول مقامه بمن حبسته معه عيناً عليه، فلم يكن منه سوء قط، ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير، ولا دعا قط على أمير المؤمنين، ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعِفيني من أمره، أو ينفذ من يتسلمه مني وإلا سرحت سبيله، فإني منه في غاية الحرج»[٢].

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر. ج١ ص١٥٦.

(٢) المصدر نفسه. ج٢ ص٤٦٧.

وتكرر مثل هذا الأمر حينما اعتقل الإمام للمرة الأخيرة في سجن السندي بن شاهك في بغداد، الذي عانى الإمام فيه الكثير من الأذى والتنكيل، لكن ذلك لم ينعكس على تعامله مع المحترفين لإيذائه، وكان أحدهم يقال له بشار، وهو مولى لمسؤول السجن السندي بن شاهك، وكان بشار هذا من أشد الناس بغضاً لآل أبي طالب، وكان يبالغ في إيذاء الإمام، لكن الإمام كان يتحمل إساءاته وتنكيله دون أن يقابله حتى بلفظة نابية، أو نظرة قاسية، وبعد فترة من الزمن تغيّرت شخصية بشار، وأصبح من المحبين والموالين للإمام[١].

هكذا كان الإمام يكظم غيظه، وينطوي على الأمة، في تعامله مع الأشخاص المسيئين إليه.

الكاظم في منهجيته

يبدو لي أن السبب الأهم لإطلاق لقب الكاظم على الإمام موسى بن جعفر، والتفسير الأدق يكمن في طبيعة المنهجية التي اتسمت بها سيرة الإمام، وطريقة تعامله مع الظروف السياسية التي أحاطت به.

فقد تحمل أعباء الإمامة لخط أهل البيت عليهم السلام في ظروف بالغة الحساسية والصعوبة، حيث تركزت السلطة في أيدي العباسيين، وكانوا في أوج قوتهم السياسية والاقتصادية، حتى اشتهر عن هارون الرشيد مخاطبته للسحاب: «اذهبي إلى حيث شئت يأتيني خراجك» وأصبحت عاصمتهم (بغداد) عروس الدنيا، بثرواتها وقصورها وحدائقها، ونقل

---

(١) المصدر نفسه. ص٤٨٧.

ابن خلدون في مقدمته أن المحمول إلى بيت المال في أيام الرشيد بلغ ٧٥٠٠ قنطاراً في كل سنة. لقد دانت لهم البلاد، وخضع لهم العباد.

من جانب آخر، فإن العلاقة بين الحكم العباسي والعلويين كانت متوترة متشنجة؛ لأن العلويين كانوا شركاء العباسيين في الثورة على الحكم الأموي، بل كانت الشعارات والدعوة باسمهم، وكانوا هم المرشحين لاستلام الحكم، بموجب مؤتمر (الأبواء) الذي اجتمع فيه زعماء هاشميون من علويين وعباسيين، وتداولوا أمر الدعوة، وإسقاط الحكم الأموي، واتفقوا على مبايعة محمد بن عبد اللّه بن الحسن، وممن تقدم لمبايعته السفاح وأبو جعفر المنصور اللذان تولّيا السلطة فيما بعد، وتجاوز العباسيون العلويين وتجاهلوهم وانفردوا بالحكم، فأوجد ذلك غضباً وانزعاجاً في أوساط العلويين، وأدرك العباسيون ذلك، فأصبحوا حذرين من العلويين، يتوقعون منهم ردّ فعل مناوئ، ولتوقي أية مضاعفات محتملة من قبل العلويين تجاه الحكم العباسي، بدأ العباسيون حملة من الضغوط والتضييق على منافسيهم وأبناء عمهم العلويين، أعادت إلى الذاكرة العلوية مآسي الحكم الأموي، وفي بعض الأحيان كانت ضغوط العباسيين أشد وأقسى، حتى قال الشاعر:

تاللّه ما فعلت أمية فيهم   معشار ما فعلت بنو العباس

نتيجة لهذا الواقع ولهذه الضغوط تفجرّت بعض الثورات من قبل العلويين، كثورة محمد بن عبد اللّه بن الحسن، وثورة أخيه إبراهيم، في عهد المنصور، وثورة فخ الشهيرة بقيادة الحسين بن علي بن الحسن، في عهد موسى الهادي.

ورغم أن الإمام موسى بن جعفر لم يشارك في أي من ثورات العلويين وانتفاضاتهم، لكن السلطة العباسية كانت حذرة قلقة من وجوده، لما يمثله من موقعية روحية دينية، ليس عند العلويين فقط وإنما في أوساط جماهير الأمة بشكل عام.

خط أهل البيت: تقدم ونمو

بعدما عاشت الأمة مظالم العهد الأموي، وتكشفت لها نيات الحكم العباسي، وأنهم طلاب سلطة، وليسوا حملة رسالة، اتجهت الأنظار أكثر إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام، باعتبارهم الأمل في تصحيح واقع الأمة وإنقاذها. ونتيجة للنهضة الفكرية الثقافية الواسعة التي قادها الإمامان الباقر والصادق، فترة انشغال العباسيين بالأمويين، انتشرت المفاهيم والمعارف التي تتبناها مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والتي تمثل مبادئ الإسلام الحقة، ومناهجه الأصيلة، المنبثقة من الكتاب والسنة، والنقية من الأهواء والتأثيرات السياسية والمصلحية.

كما أن التميز الواضح في شخصيات أئمة أهل البيت علماً وتقوى وأخلاقاً، جعل أفئدة الناس تهوي إليهم.

لكل هذه الأسباب كان خط أهل البيت في تقدم ونمو مطَّرد، وخاصة في عهد الإمام موسى بن جعفر، حتى وصل بعض الموالين لأهل البيت إلى مناصب ومواقع حساسة في جهاز الدولة، نتيجة لكفاءتهم المتميزة، ولتشجيع الإمام موسى لهم، بأن يتحملوا ظروف الحكم وأجواء الحاكمين، من أجل أن ينقذوا ما يمكن إنقاذه من المصالح

العامة، وأن يصححوا ما يمكن تصحيحه من القرارات والإجراءات، وأن يكونوا عوناً للضعفاء والمؤمنين.

فمثلاً علي بن يقطين أصبح وزير الحكم في عهد المهدي ثم في عهد هارون الرشيد، وتشير بعض الروايات إلى أن الوالي على منطقة (ريّ) المهمة، كان من أتباع أهل البيت.

ومن مظاهر تقدم خط أهل البيت في تلك الفترة، المبالغ الطائلة التي كانت تبعث للإمام من مختلف الأمصار، كزكاة وخمس، يقول يونس ابن عبد الرحمن: مات موسى بن جعفر وليس من قوّامه أحد إلاّ وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، طمعاً في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار[١].

إن خط أهل البيت لم يعد مقتصراً على الحجاز والعراق، بل اتسعت رقعته إلى إيران ومصر والمغرب وسائر البقاع.

يقول أحدهم محرضاً هارون الرشيد ضد الإمام موسى: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت موسى بن جعفر يسلّم عليه بالخلافة، وأن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب[٢].

اشتداد الضغوط على الإمام

تعرّض الإمام موسى لضغوط كبيرة قاسية أكثر من سائر أئمة أهل

(١) بحار الأنوار. ج ٤٨ ص٢٥٢،.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر ج٢، ص٤٥٥.

البيت عليهم السلام، فقد اعتقل خمس مرات، لمدد متفاوتة، قد يصل مجموعها إلى سبع سنوات، ووضع تحت الإقامة الجبرية في بعض الفترات.

وعانى في بعض السجون تنكيلاً وأذى رهيباً يتمثل في تقييده بالقيود والأغلال الثقيلة من الحديد، وفي جعله في سجن مظلم ضيق، وتسليط جلاوزة حاقدين عليه.

كما كانت الرقابة شديدة عليه ترصد حركاته حينما يكون خارج السجن، إضافة إلى الضغط النفسي الكبير الذي يعانيه بسبب اضطهاد العلويين من أسرته ومطاردتهم والبطش بهم من قبل السلطة.

كل هذه الضغوط كانت تدفع باتجاه أن يعلن الإمام معارضته للحكم العباسي، وأن يتحرك لمواجهته، دفاعاً عن نفسه وحريته، ولوضع حدٍّ لمعاناة أسرته العلوية وأتباعه الموالين.

ولم تكن تنقص الإمام الشجاعة والجرأة، وما كان يشكو من قلة الأتباع، لكنه كظم غيظه، وقاوم الضغوط المتوجهة إليه، من أجل ألّا يعطي الفرصة للسلطة لتشن حرب إبادة ضد أتباع خط أهل البيت، وحتى لا تتأزم الأمور أكثر فتحدّ من نمو التشيع وتقدمه واتساع رقعته.

فالإمام ليس طامحاً للسلطة، ولا طامعاً في الحكم، إنه صاحب رسالة، يفكّر من خلال مصلحة الرسالة والأمة، ويتجرع الغيظ، وينطوي على الألم، ويتحمل المعاناة، لكنه لا يضحي بالمصلحة العامة، استجابة للانفعال، وطلباً للانتقام.

وهنا يتجلى كظم الغيظ كمنهجية عمل، وكسياسة دعوة، وكخطة تحرك، وبهذه المنهجية، بقي خط أهل البيت مدرسة أصيلة في فهم الإسلام، ورؤية حضارية في حياة الأمة، يتحدى الضغوط، ويتجاوز العقبات، ويبشّر بغدٍ مشرق للإسلام والعالم.



الإمام الرضا واستثمار الانفتاح

مبايعة الإمام علي الرضا (١٤٨هـ-٢٠٣هـ) وليًّا للعهد سنة (٢٠١هـ)، من قبل الخليفة المأمون العباسي، يعتبر حدثاً يتيماً وفريداً من نوعه، في تاريخ العلاقة بين أئمة أهل البيت ﵈ والسلطات الحاكمة في عصورهم، تلك العلاقة التي كانت قائمة على الإقصاء والتعتيم والقمع، من قبل الحكومات الأموية والعباسية تجاه أهل البيت ﵈.

فجأة تفتق ذهن عبد اللّٰه المأمون بن هارون الرشيد (١٧٠هـ-٢١٨هـ) عن هذا القرار، وقاده دهاؤه السياسي لاتخاذه وتنفيذه، وكان المأمون آنذاك مقيماً في (مرو) شرق خراسان (مرو الآن جزء من تركمانستان)، لأن أباه هارون الرشيد قد ولّاه أمر فارس، وجعلها منطقة نفوذه وامتيازه، فبدأ مراسلة الإمام الرضا ﵇ في المدينة، يطلب منه الشخوص إليه، ولم يكن الإمام راغباً في مفارقة المدينة، ولا الاقتراب من المأمون،

ثم بعث المأمون وفداً رسمياً لتنفيذ أمر انتقال الإمام، برئاسة رجاء بن أبي الضحّاك، وهو قرابة وزيري المأمون الفضل والحسن ابني سهل، كما أنه من قادة جيش المأمون، وكان والياً على خراسان مدة من الزمن، فهو شخصية سياسية عسكرية، وتكليفه بتنفيذ هذه المهمة إشارة إلى عزم المأمون واهتمامه بإنجاز ذلك وتحقيقه.

وغادر الإمام الرضا عليه السلام المدينة منتصف سنة ٢٠١هـ، وبعد وصوله إلى (مرو) عرض عليه المأمون أن يتنازل له عن الخلافة والحكم، كما تشير بعض الروايات، لكن ذلك كان مجرد مقدمة وتمهيد للمطلب الرئيس، وهو أن يقبل بتعيينه وليًّا للعهد، فاعتذر الإمام الرضا عن ذلك، واستمرت المحاولات لإقناعه بالقبول، لمدة شهرين أو أكثر[١]، من قبل المأمون شخصياً، ومشاركة وزيريه الفضل والحسن ابني سهل، ولمّا لم تجد محاولات الإقناع، استخدموا مع الإمام أسلوب التهديد والإلزام.

يروي أبو الفرج الأصفهاني (٢٨٤هـ-٣٥٦هـ) في مقاتل الطالبيين: أن المأمون بعث الفضل والحسن ابني سهل إلى علي بن موسى الرضا، فعرضا ذلك عليه -ولاية العهد- فأبى، فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه، إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت وإلا فعلنا بك وصنعنا، وتهدده، ثم قال له أحدهما: واللّه أمرني ـ أي المأمون ـ بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد. ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع، فقال له

---

(١) السيد جعفر مرتضى. الحياة السياسية للإمام الرضا، ١٩٨٦م، (بيروت: دار الأضواء)، ص٢٨٠.

قولاً شبيهاً بالتهديد، ثم قال له: إنّ عمر ـ بن الخطاب ـ جعل الشورى في ستة أحدهم جدك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلك[١]. فوجد الإمام الرضا نفسه بين خيار الاستجابة أو الاصطدام مع المأمون، ورأى أنّ الخيار الأول أفضل وأصلح، فقبل ولاية العهد، بشرط أن لا يتحمل شيئاً من المسؤوليات التنفيذية والسياسية «أن لا يولي أحداً، ولا يعزل أحداً، ولا ينقض رسماً، ولا يغير شيئاً مما هو قائم، ويكون في الأمر مشيراً من بعيد»[٢] وبذلك أخلى نفسه من أي مسؤولية تجاه نظام الحكم وسياساته وممارساته، وموقعه شكلي ليس إلاّ.

لقد أحاط المأمون تعيين الإمام الرضا وليًّا للعهد بإجراءات وأجواء احتفائية وإعلامية كبيرة، مما يوحي بأنّ له غرضاً في استثمار هذا القرار على الصعيد السياسي والشعبي. فعقد مهرجاناً رسمياً وشعبياً عاماً لمبايعة الرضا، في اليوم الثاني أو الخامس أو السابع (على اختلاف الروايات) من شهر رمضان سنة ٢٠١هـ. حضره الوزراء وكبار رجال الدولة، وقادة القوات المسلحة، وأعيان العباسيين والعلويين، وشجّع الشعراء بالجوائز والمكافآت على التفاعل مع هذا الحدث بالإشادة به، ومدح الإمام الرضا، وبهذه المناسبة أمر بإعطاء الجنود رواتبهم سنة كاملة، وأثبت اسم الإمام الرضا في الدراهم والدنانير المسكوكة، ووجّه ولاته وعمّاله في جميع الأقطار والأقاليم الإسلامية، بأخذ البيعة من جميع المواطنين بولاية العهد، وبالدعاء للإمام الرضا في خطب الجمعة.

---

(١) مقاتل الطالبيين. ص٥٦٣.

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا. ص٣٤٧.

الدافع السياسي

ترى ما الذي دفع المأمون لاتخاذ هذا القرار الغريب الخطير؟ وكيف انعطف بالعلاقة مع أهل البيت من حال المناوئة والمواجهة، التي سار عليها أسلافه، إلى هذا المنحى من إشراكهم الظاهري في الحكم، والاعتراف بمكانتهم وفضلهم على المستوى الرسمي والشعبي؟

يذهب قلة من الكتّاب والباحثين إلى القول بإخلاص المأمون وانطلاقه من دافع مبدئي، فهو يكن الولاء الصادق لأهل البيت، ويتشيع لهم، ويتحدث عن بعض المواقف التي أوجبت اقتناعه بأئمة أهل البيت، كمشاهدته لتعامل أبيه هارون الرشيد مع الإمام موسى الكاظم عليه السلام، الذي أثار تساؤل المأمون، فأجابه أبوه هارون الرشيد بتأكيد المكانة الشرعية، والأولوية القيادية للأئمة، وهناك مؤشرات عديدة قد يستدل بها على تشيعه، كردِّه فدكاً للعلويين، وإعلانه لتفضيل الإمام علي بن أبي طالب وأحقيته بالخلافة في مجلس عقده في قصره، للمناظرة مع أربعين عالماً، من علماء الحديث والكلام في بغداد، انتخبهم يحي بن أكثم، فناقشهم المأمون بدقة علمية، واستدلال قوي، لإثبات ذلك، وأفحمهم. وكذلك قوله بخلق القرآن، وجواز المتعة، وما شابه من القضايا التي يتبناها مذهب أهل البيت. وفي هذا السياق يأتي عرضه الخلافة وولاية العهد على الإمام الرضا.

أو هو قد نذر للّه تعالى إن انتصر على أخيه الأمين ليجعلن الأمر في الأصلح والأفضل، ولا ينطبق ذلك إلا على الإمام الرضا. وينقل عنه قوله: «إني عاهدت اللّه أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت

بالمخلوع، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل»[١].

وممن يتبنى هذا الرأي صديقنا الدكتور السيد محمد علي البار في شرحه وتقديمه لرسالة الإمام الرضا في الطب (الرسالة الذهبية) يقول: «ولله در المأمون إذ فضّل الإمام علي الرضا على بنيه وآل بيته أجمعين مبتغياً في ذلك رضا الله تعالى... والواقع أنّ المأمون بفعله هذا أثار البيت العباسي، وكادت الخلافة تخرج من يده عندما ولّى بنو العباس عمه إبراهيم بن المهدي الخلافة، وقد نقم عليه بنو العباس ذلك الفعل، ونصحه وزيره الحسن بن سهل ألاّ يقدم على هذا العمل، الذي فيه إغضاب البيت العباسي بأكمله، مع أنصارهم وهم كثر. ولكن المأمون آثر الله والدار الآخرة، ونصح للأمة جهده فولّى علي الرضا العهد من بعده، بل أراد أن يتنازل له عن الخلافة ولكن الرضا أبى ذلك..»[٢].

لكن من يقرأ شخصية المأمون، ويدرس مواقفه وممارساته السياسية، بدءاً من حربه لأخيه الأمين وقتله، ثم صلب رأسه في صحن داره، ليلعنه كل من يقبض عطاءه، وبعد ذلك تطويف رأس الأمين في أنحاء خراسان، ومروراً بما فعله بوزيره الفضل بن سهل، حيث دبّر لاغتياله، بعد أن استهلك دوره، وكذلك تصفيته لقائد جيشه الكبير هرثمة بن أعين، ومؤامراته للتخلص من طاهر بن الحسين وأبنائه..[٣]

---

(١) مقاتل الطالبيين. ص٥٦٣.

(٢) محمد علي البار. الإمام علي الرضا ورسالته في الطب، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م، (بيروت: دار المنهل)، ص٧٧.

(٣) البداية والنهاية. ج ١٠ ص ٢٥٧-٢٧٦.

والأهم من كل ذلك ما تشير إليه الروايات التاريخية من أنه كان وراء قتل الإمام الرضا بدس السّم إليه.. هذه الأمور تجعل احتمال المبدئية والصدق في توليته العهد للإمام الرضا، بعيداً كل البعد. بل يجب التفتيش عن الدافع السياسي، والذي قد لا يحتاج الباحث في إدراكه إلى الكثير من الدراسة والتأمل.

اهتزاز حكم المأمون

كان هارون الرشيد قد نصب ولده محمد الأمين وليًا لعهده، وولده عبد اللّه المأمون، وليًا لعهد أخيه الأمين، ومع أن المأمون أكبر سناً ولو بشهور، وأقوى شخصية وفطنة، لكنه ابن جارية أعجمية طباخة، بينما أم محمد الأمين زبيدة حفيدة المنصور، وصاحبة الأمر والنهي والنفوذ في حكم هارون الرشيد، وكان العباسيون يدعمون الأمين، وكذلك البرامكة النافذون، والوسط العربي بشكل عام.. كل ذلك شجع الأمين بعد أن تولى الخلافة على خلع أخيه المأمون عن ولاية عهده، وأخذ البيعة لولده موسى، وهو طفل صغير في المهد، مما أثار حفيظة المأمون، فبادر لخلع أخيه الأمين، وأعلن نفسه خليفة على الأمة، وجهّز جيشاً لمواجهة جيش أخيه، وحصلت المواجهة في منطقة (الري)، والتحم الجيشان في معركة رهيبة، جرت فيها أنهار الدماء، وانهزم جيش الأمين، وواصل جيش المأمون زحفه حتى حاصر العاصمة بغداد، وقُتل الأمين، وبُعث برأسه إلى أخيه المأمون.

لقد انتصر المأمون على أخيه، لكنه لم يكسب تعاطف العباسيين

والعرب، وقد اختار العباسيون فيما بعد إبراهيم بن المهدي عم المأمون ليبايعونه بالخلافة، رغم أنه كان مغنياً ليس له اهتمام سياسي.

من جانب آخر، فإن ثورات العلويين المتلاحقة، في بقاع مختلفة، كانت تربك الحكم، وتزيد في اهتزازه، فقد فجّر أبو السرايا ثورته في الكوفة، وخرج زيد النار بن موسى بن جعفر في البصرة، سمي بزيد النار لأنه حرق دور العباسيين في البصرة بالنار، وثار محمد بن جعفر في مكة، وقاد التمرد في اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر، وأشعل الثورة في المدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن، وتحرك في واسط جعفر بن محمد بن زيد، والحسين بن إبراهيم بن الحسن، وفي المدائن محمد بن إسماعيل بن محمد.. بل إنك قد لا تجد قطراً إلا وفيه علوي يمنّي نفسه، أو يمنّيه الناس بالثورة ضد العباسيين، حسبما نص عليه بعض المؤرخين[1].

هذا عدا عن ثورات غير العلويين، وهي كثيرة، كثورة الحسن الهرش سنة ١٩٨هـ، وتغلب حاتم بن هرثمة على أرمينية، ونصر بن شبث على كيسوم وسميساط وما جاورها، وهناك حركات الزط، وثورة بابك، وثورة المصريين بين القيسية المناصرة للأمين واليمانية المناصرة للمأمون.. وغيرها.

ولاية العهد لتعزيز الحكم

تجاه هذه التحديات الكبيرة التي واجهها المأمون، والتي جعلت

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا. ص١٨٣-١٨٤.

حكمه في موقع الضعف والاهتزاز، كان لا بد له من مبادرة ذكية شجاعة تغيّر المعادلة، وتقلبها رأساً على عقب، وتحوّل الموقف لصالح المأمون.

وكان المأمون مهيئاً لاتخاذ مبادرة بهذا الحجم، لما يتصف به من دهاء وذكاء ومعرفة، حتى قال بعضهم: «لم يكن في بني العباس أعلم من المأمون»، وقال الأستاذ محمد فريد وجدي: «لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين أكفأ منه»[١] بل روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال ـ وهو يصف خلفاء بني العباس ـ: «سابعهم أعلمهم»[٢].

فتفتق رأيه عن هذا القرار الذكي، أن يجلب الإمام عليًّا الرضا عليه السلام إلى جانبه ليعزز بشخصيته موقع الحكم والسلطة، وذلك لما للإمام الرضا من شخصية محترمة مقبولة في أوساط الأمة، فهو ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتدين له القواعد الشيعية بالولاء والطاعة، وكما قال عنه المأمون نفسه: «هذا خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم»، وهو موضع تقدير وثقة الجميع، وإنما أطلق عليه (الرضا) «لأنه رضي به المخالفون من أعدائه، كما رضي به الموافقون من أوليائه» على حدِّ تعبير ولده الإمام محمد الجواد عليه السلام[٣].

---

(١) محمد فريد وجدي. دائرة المعارف الإسلامية، ج١ الطبعة الثالثة ١٩٧١م، (بيروت: دار المعرفة)، ص٦٢٠.

(٢) الشيخ عباس القمي. سفينة البحار، ج٢ مادة غيب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، (قم: دار الأسوة) ص ٣٣٢.

(٣) باقر شريف القرشي. حياة الإمام علي بن موسى الرضا ج١، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، (بيروت: دار المرتضى)، ص٢٣.

ويكفي للتدليل على هذه المكانة المرموقة، والموقعية المميزة، التي تبوأها الإمام الرضا أن نذكر الحادثتين التاليتين:

لمّا كتب المأمون إلى عبد الجبار بن سعد المساحقي عامله على المدينة، أن اخطب الناس وادعهم إلى بيعة علي بن موسى، فقام خطيباً فقال: «أيها الناس هذا الأمر الذي كنتم فيه ترغبون، والعدل الذي كنتم تنتظرون، والخير الذي كنتم ترجون، هذا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، ستة آباء هم ما هم، من خير من يشرب صوب الغمام»[١].

وحسب كلام هذا الوالي فالإمام الرضا عند الحجازيين هو العدل المنتظر، والخير المرجو، والأمر المرغوب.

والحادثة الثانية تظهر مكانة الإمام الرضا في شرق البلاد الإسلامية، وهي ما ذكره المؤرخون عن دخول الرضا إلى نيسابور، في طريقه إلى (مرو) وننقل عنها ما أورده ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة قال: (ولما دخل نيسابور، كما في تاريخها، وشقّ سوقها، وعليه مظلة لا يرى من ورائها، تعرض له الحافظان أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه، ويروي لهم حديثاً عن آبائه، فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكف المظلة، وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة، فكانت له ذؤابتان متدليتان على عاتقه، والناس بين صارخ وباك، ومتمرغ في

---

(١) ابن عبد ربه الأندلسي. العقد الفريد ج٥، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص٣٥٩.

التراب، ومقبلٌ لحافر بغلته، فصاحت العلماء: معاشر الناس، أنصتوا، فأنصتوا، واستملى منه الحافظان المذكوران، فقال: حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: (حدثني حبيبي وقرة عيني رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «حدثني جبريل، قال: سمعت رب العزة يقول: لا إله إلاّ اللّه حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمِن من عذابي». ثم أرخى الستر وسار، فَعُدّ أهل المحابر والدّوى الذين كانوا يكتبون، فأنافوا على عشرين ألفاً)[1].

توضح هاتان الحادثتان عظيم مكانة الإمام الرضا في نفوس أبناء الأمة، من الغرب إلى الشرق، وفي أوساط العرب والعجم، وهذا ما دفع المأمون إلى الإصرار عليه ليقبل بالدخول معه في الحكم، كوليٍّ للعهد، لتعزيز سلطته، وتثبيت شرعية حكمه، ولوضع حدٍّ للثورات العلوية، وكسب ثقة جماهير الأمة.

برنامج الإمام الرضا

وأوضح دليل لدينا على عدم صدق نيات المأمون، وأن له استهدافات سياسية مصلحية، هو تمنّع الإمام الرضا عن قبول عرضه الخلافة وولاية العهد، ثم موافقته من باب الاضطرار، واشتراطه ألّا يتحمل أي مسؤولية، أو يقوم بأي دور ضمن السلطة، وتحيّنه الفرص للتعبير عن ضيقه وانزعاجه من الوضع الذي أصبح فيه. فقد أخبر أحد

---

(١) الصواعق المحرقة. ج٢ ص٥٩٤.

مواليه منذ الساعة الأولى لمبايعته بولاية العهد، وهو في مهرجان البيعة والاحتفاء قال له: «لا تشغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر، ولا تستبشر فإنه لا يتم»[1]. ويصف ياسر الخادم حال الإمام في تلك الفترة بقولـه: إنَّه لم يزل مغموماً مكروباً حتى قبض صلوات اللّه عليه.

فلو كان الإمام واثقاً من نيات المأمون وتوجهاته لما تعامل مع الموضوع بهذه الطريقة.

لكن الإمام ومع تحفظه على الحكم، بدلالة رفضه للمشاركة العملية فيه، حاول الاستفادة بأقصى حدٍّ ممكن من فرصة الانفتاح السياسي، من أجل خدمة أهدافه الرسالية العظيمة، المتمثلة في تبيين معالم الدين، وتجلية مفاهيمه الحقة، خاصة مع ملاحظة الأمور التالية:

١. **التحديات الفكرية والثقافية:** حيث شهد عصر الإمام الرضا عليه السلام انفتاحاً واسعاً على الثقافات الأجنبية، وخاصة اليونانية، فقد اهتم المأمون بجلب الكتب العلمية والفلسفية من الخارج، وكلف موظفاً خاصاً في مكتبة بيت الحكمة، وهي أضخم مكتبة في بغداد، للاهتمام بالكتب الأجنبية التي نقلت من (قبرص)، ومن خزائن كتب اليونان، كما أنشأ ديواناً للترجمة برئاسة حنين بن إسحاق، لتعريب الكتب الأجنبية.. هذا الانفتاح الثقافي ينبغي أن تواكبه نهضة فكرية، ثقافية داخل الأمة، للاستفادة من مكاسب وتجارب الآخرين، دون الانبهار بها، أو التأثر

---

(١) حياة الإمام علي بن موسى الرضا. ج٢ ص٣٠٤.

بالانحرافات التي فيها.

٢. **الحصار القائم حول خط أهل البيت**: الذي سبّب وجود بعض الانحرافات الفكرية داخل الأوساط الشيعية، من قبل الفئات المغالية والمصلحية، كالواقفة، وكذلك فإن شرائح من الأمة لم يتح لها الاطلاع على معالم خط أهل البيت الفكري والسياسي، بل كانت ضحية الإعلام المناوئ، الذي كان يثير الشبهات والتساؤلات والافتراءات حول مدرسة أهل البيت، ومواقفهم الفكرية والسياسية.

٣. الصراعات السياسية التي عاشتها الأمة بين الأمويين والعباسيين، ثم داخل الحكم العباسي، كحرب الأمين والمأمون، الاضطرابات السياسية، وفساد أجهزة الحكم، كل ذلك أوجد في أوساط الأمة ردات فعل، وثغرات وإشكالات، انعكست على ثقة بعض الناس بدينهم، وأضعفت التوجهات المبدئية، لصالح الاهتمامات المادية والأنانية...

مما يعني حاجة الأمة إلى زخم من التوجيه الديني، وحركة في كشف حقائق الإسلام ومفاهيمه الصحيحة، بعيداً عن التحريف والتزييف.

وإذا كانت ظروف الحصار والقمع التي عاشها أكثر أئمة أهل البيت ﭺ، تجعل فرصتهم في هذا الميدان محدودة، مع أنهم كانوا يصارعون تلك الظروف، ويسعون لتبليغ رسالات اللّه بكل وسيلة ممكنة، فإن الفضاء السياسي المفتوح نسبياً للإمام الرضا ﯨ، أعطاه فرصة واسعة،

وخاصة مع محاولات المأمون للتظاهر بالإخلاص للإمام الرضا وأهل البيت عليهم السلام، كما فسح ذلك المجال لكي تصل آراء أهل البيت وأفكارهم للنخب والشرائح المتقدمة في أجهزة الحكم، وأجواء السلطة والقدرة.

وكأنموذج لهذا الدور الذي قام به الإمام عليه السلام، نشير إلى المناظرات والحوارات العلمية، التي حصلت بينه وبين العديد من الزعامات الدينية والعلمية، تلك المناظرات التي انعقدت في قصر المأمون العباسي وبدعوة منه، إِمَّا للتظاهر بتأييد أهل البيت، أو أملاً منه في إحراج الإمام الرضا، بما يطرح عليه من مسائل عويصة، وإِشكالات حادة، فقد أوعز المأمون إلى ولاته في أنحاء العالم الإسلامي، بإيفاد كبار العلماء المتمرسين في مختلف أَنواع العلوم إلى خراسان، وطلب منهم أن يفتشوا عن أعقد المسائل وأكثرها صعوبة وعمقاً، ليطرحوها على الإمام الرضا عليه السلام، وكان الإمام يجيب عن تلك التساؤلات ويعالج تلك الإِشكالات، بصدر رحب، وبيان واضح، وحجة بالغة، وقد جمع بعض تلامذة الإمام تلك المناظرات والحوارات، فزادت على عشرين ألف مسألة في ميادين العلم والفكر المختلفة، ومن المؤسف أنّنا لا نمتلك الآن منها إلا جزءاً يسيراً، وهو ذو فائدة وقيمة كبيرة، لكن مجموع تلك المناظرات (لم نعثر عليها، ولعلها من جملة المخطوطات التي خسرها العالم العربي والإسلامي)[1].

ومن تلك المناظرات حوار الإمام مع عمران الصابئ، وكان زعيم طائفة الصابئة، ومن كبار فلاسفة ذلك العصر، وقد جرت المناظرة

---

(١) المصدر نفسه. ج١ ص١٣.

بحضور المأمون وكبار العلماء والقادة، واستمرت لأكثر من مجلس، وأثبت الشيخ الصدوق في كتابه (عيون أخبار الرضا) أغلب ما دار فيها.. وكانت نتيجتها إعلان عمران الصابئ إسلامه، وانضمامه إلى مدرسة أهل البيت ﷺ، حيث كثر تردده على الإمام، وانتهاله من نمير علمه.

ومنها مناظرته لسليمان المروزي، المعروف بتضلعه في الفلسفة، وتمرّسه في البحوث الكلامية، وكان يعد في طليعة علماء خراسان، واشتملت على حوار علمي عميق حول توحيد اللّه تعالى وتنزيهه، وتبيين حقيقة صفاته وأسمائه.

ومناظرته مع أبي قرة الذي كان يثير الكثير من الشبه والإشكالات، على العقائد والمفاهيم الدينية.. وكذلك مناظرته مع الجاثليق رئيس أساقفة النصارى، ومع رأس الجالوت كبير علماء اليهود، والهربذ الأكبر زعيم الهنود، وأتباع زرادشت، ونسطاس الرومي الطبيب العالم، ومع علي بن الجهم حول عصمة الأنبياء وغيرهم.

لقد وفّرت مجالس المناظرات والحوار للإمام فرصة جيدة، لتبيين مفاهيم الدين، وتوضيح معالم الشريعة، وكانت أصداؤها وآثارها تنعكس على علماء الأمة والجماهير، مزيداً من الثقة في الدين، والمعرفة بالحقائق.

إضافة إلى الجهود التي بذلها الإمام في تعليم وتربية من التفّ حوله من التلامذة والموالين، وقد بلغ عدد الرواة عنه، والمنتهلين من علومه

ومعارفه، حسب إحصاء أحد العلماء الباحثين إلى ثلاثمائة وسبعة وستين شخصاً[١].

الدرس والعبرة

من هنا كان عهد الإمام الرضا عليه السلام، من أثرى وأخصب العهود التي استفادت فيها الأمة من علوم أهل البيت عليهم السلام، فقد استثمر فرصة الانفتاح السياسي في تبليغ مبادئ الدين، والدفاع عن مناهج الرسالة، وفي رفع معنويات وثقة أبناء الأمة في دينهم، وتوضيح ما التبس عليهم، بسبب الجهل أو التحريف الداخلي، ولتحصينهم من تأثير الثقافات والأفكار المخالفة للإسلام.

وبذلك يبعث الإمام الرضا رسالة إلى الفقهاء والعلماء، في كافة أجيال الأمة وعصورها، بأن لا تستهويهم المناصب والمواقع لذاتها، بل يجب أن يسخرّوها إذا ما وصلوا إليها أو تورطوا بها، من أجل نشر الدين، وخدمة الأمة.

فالأمة وخاصة في هذا العصر، تواجه تحديات حضارية خطيرة، على المستوى الفكري والمعرفي، لتطور وسائل الاتصال، وتكنولوجيا انتقال المعلومات وتداولها، وللانفتاح الإعلامي الهائل، مع سيطرة الآخرين على مصادر ومنابع الحركة الإعلامية والمعلوماتية على الصعيد العالمي، مما يضاعف مسؤوليات الدعاة إلى اللّه، ويتطلب منهم أكبر جهد في العمل والنشاط والانطلاق، دون الاكتفاء بمواقع وحدود ضيقة.

---

(١) المصدر نفسه. ج٢ ص١٨٠.



صور من حياة الإمام الجواد عليه السلام

ما أحوج الأمة الإسلامية وهي تعيش معركة الحفاظ على هويتها، والالتزام بقيمها الأخلاقية، إلى استذكار سير الأئمة الطاهرين عليهم السلام. لأن ذلك يؤكد في نفوس أبناء الأمة ثقتهم بدينهم، ويصون هويتهم، في ظل العولمة الثقافية التي تريد إلغاء هويات الأمم، وتذويب ثقافاتها في بوتقة الثقافة الغربية المادية، نحن في أمس الحاجة إلى إبراز حياة القدوات والرموز المبدئية، حتى ينشدّ إليها أبناء هذا الجيل من الأمة. وليس إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام إلا تلبية لهذه الحاجة الملحة.

عطاء زاخر في عمر قصير

ولد الإمام محمد الجواد بن علي الرضا سنة ١٩٥هـ وهو الإمام التاسع من أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام. ويكنى: أبا جعفر الثاني تمييزاً له عن جده (أبي جعفر) الإمام محمد الباقر عليه السلام. واستشهد سنة

٢٢٠هـ، فهو أقصر الأئمة عمراً، إذ لم يتجاوز خمساً وعشرين سنة. وعلى الرغم من أنه عاش فترة قصيرة إلا أنها كانت زاخرة بالعطاء والفضل. ولا يقاس قدر الإنسان، ولا تُعرف قيمته بسنه، ولا بمقدار عمره، بل بكفاءته وعطائه وإنجازاته، يقول الشاعر:

هي الحياة انتقالات مفاجئة
لا الطول مقياسها الأسمى ولا القصر
تخلد المرء وقفات وترفعه
إلى ذرى المجد ساعات هي العمر

والإمام الجواد عليه السلام برغم قصر عمره، يأتي في طليعة العظماء، الذين خلدهم التاريخ بقيمهم، وعطائهم للمجتمع الإنساني.

إمامته

تحمل الإمام أعباء الإمامة ومسؤولياتها منذ صغره، بعد استشهاد أبيه الإمام علي الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣هـ. حيث كان عمره ٨ سنوات، وقد نص عليه أبوه الإمام الرضا عليه السلام بالإمامة. وكما هو معتقد الشيعة في الإمامة أنها تكون بالنص والتعيين، ينص الإمام السابق على الإمام الذي يليه. وقد يكون أمر إمامة الجواد عليه السلام في هذا العمر مثيراً للتساؤل، إذ كيف يعقل أن يصبح غلام في الثامنة من عمره إماماً ومرجعاً للأمة في دينها ودنياها؟ وهناك الإمام علي الهادي عليه السلام، والإمام محمد المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف من أئمة أهل البيت، ممن تحملوا أعباء الإمامة في صغر سنهم، فكيف يمكن هذا الأمر؟

ويرتفع هذا التساؤل في معتقد الشيعة بمعرفة أن مؤهلات الإمامة ليست كسبية. وأن علم الأئمة ثابت لهم بالوصاية والاستيداع والإلهام من اللّه، لا بكسب وتعلم من الناس، وشدِّ الرحال إلى الحلقات العلمية، وإذا كان اللّه جل شأنه هو المعطي والملهم بالطريقة الغيبية الإعجازية، فلا مجال للشك والتساؤل. أما إذا كان السؤال حول انطباق هذا المفهوم على الإمام، أي هل أن اللّه عينه واختاره إماماً أم لا؟ فهذا بحث مستقل، وللشيعة أدلتهم وبراهينهم على النص والتعيين كشرط للإمامة، وعلى تحديد أشخاص الأئمة، عن طريق النقل الثابت لديهم، ومما يؤيد ذلك الكفاءة الظاهرة للناس.

والقرآن الكريم يحدثنا عن النبي عيسى عليه السلام، الذي أعطاه اللّه النبوة وهو رضيع في المهد، وفي عقيدة الشيعة أن الإمامة امتداد للنبوة، وهي لا تكون إلا بالتعيين من قبل اللّه، وليست شأناً يتحكم به البشر. حتى تكون مؤهلاتها كسبية أو مأخوذة عن طريق التحصيل. وتبدو قصة النبي عيسى عليه السلام جلية للجميع. يقول تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللّه آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[1]، وهذا ما يؤمن به جميع المسلمين. فقد عجب بنو إسرائيل من أمر ولادته ومجيئه من غير أب، ولما كانت ولادته بالإعجاز، فقد كان الجواب عن سؤالهم بالإعجاز أيضاً، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ لأنها كانت صائمة عن الكلام بأمر اللّه تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٢٩-٣٠.

فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[١] فازداد تعجبهم، فكيف يكلمون طفلاً رضيعاً لم يمضِ على ولادته إلا أيام قليلة؟ وكيف يستفسرون منه عن أمر ولادته الغريبة؟ وإذا به يبادرهم بالجواب: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّه آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[٢]، ويحدثنا القرآن عن يحيى بن زكريا عليه السلام، يقول تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٣]، والصبي يطلق على من هو دون البلوغ، ونحن لا نشك في قدرة اللّه وإرادته. وكذلك لم يكن علم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله كسباً تحصيلياً فقد كان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب، ولم يأخذ علماً من أحد قط. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٤]، ويقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾[٥].

فإذاً ثبت أن الإمامة تكون بالنص والتعيين، وأن مؤهلاتها ليست كسبية أو تحصيلية، وإذا ثبت النص على الإمام الجواد عليه السلام، وهذا ما يعتقده الشيعة، فليس هناك مجال للشك في إمامته لكونه صغير السن.

التفوق العلمي

لم تصلنا من أخبار علوم الإمام الجواد إلا شذرات قليلة، أودعت

---

(١) سورة مريم، آية: ٢٦.

(٢) سورة مريم، آية: ٣٠.

(٣) سورة مريم، آية: ١٢.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٨.

(٥) سورة الشورى، آية: ٥٢.

في بعض كتب التاريخ، ومردّ ذلك هو الاضطهاد الذي مارسه العباسيون بحق أهل البيت، والتنكيل بهم، والتضييق عليهم، وعلى من يلوذ بهم. وقد أثار معاصروه من العلماء وحاشية السلطة شكوكاً في أهليته لمنصب الإمامة، فكيف يدعي الإمامة وهو لا يزال في الثامنة من العمر؟ وكيف يدعي بعض الناس ممن حولـه الإمامة له، وفي الأمة كثير من العلماء والقضاة وأعيان البلاد؟ وبهذا أصبح عرضة للتحدي والسؤال. وبالفعل فقد تعرض للامتحان، وزاد في شدة الأمر سخط مراكز السلطة على أهل البيت عليهم السلام، لأنهم ينافسونهم على مقام القيادة. ولم يكن بروز الجواد عليه السلام مرضياً للعباسيين والقضاة الملتفين حولهم.

ويذكر التاريخ أن العباسيين عقدوا مجلساً بمحضر الخليفة المأمون، لامتحان معرفة الإمام الجواد وعلمه، وجاؤوا بقاضي القضاة يومئذٍ وهو (يحيى بن أكثم)، ليمتحنه بمسألة عويصة، فطرح عليه السؤال التالي: ما تقول في محرم قتل صيداً؟ فقال الإمام عليه السلام: «قتله في حل أو حرم؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأً؟ حراً كان المحرم أم عبداً؟ صغيراً كان أم كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم من كباره؟ مصراً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً بالعمرة إذ قتله أو بالحج؟».

فتحيّر يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع. ثم طلب المأمون من الإمام أن يذكر تفصيل الجواب على التفريعات التي ذكرها للمسألة، فقال أبو جعفر عليه السلام: «نعم، إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل

وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن كان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه للعمرة نحره بمكة. وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة» .

فقال له المأمون: أحسنت ـ أبا جعفر ـ أحسن اللّه إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة وبم حلت له وحرمت عليه؟» .

فقال له يحي بن أكثم: لا واللّه ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان الظهر اعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له»[(١)] وقد ذكر المحدّث ابن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة ٩٧٤ هذه الحادثة في كتابه (الصواعق المحرقة) ونقل بعض ما دار في ذلك المجلس[(٢)].

وجاء في بحار الأنوار عن علي بن إبراهيم عن أبيه قال: استأذن على أبي جعفر قوم من أهل النواحي، فأذن لهم، فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة، فأجاب وله عشر سنين.

ويعلّق الشيخ المجلسي رحمه الله على هذه الرواية بقوله: إن الكلام قد يكون محمولاً على المبالغة في كثرة الأسئلة والأجوبة، أو أن المراد بوحدة المجلس الوحدة النوعية أو مكان واحد كمنى وإن كان في أيام متعددة[(٣)].

هذه المواقف وأمثالها أثبتت جدارة الإمام الجواد وأهليته لمنصب الإمامة، لذلك تجد عالماً فقيهاً من أهل البيت، هو علي بن جعفر

---

(١) الإرشاد في معرفة حجج اللّه على العباد ج٢، ص٢٨٥.

(٢) الصواعق المحرقة. ص٢٠٤.

(٣) بحار الأنوار. ج٥٠ ص٩٣.

الصادق، على كبر سنه، ومكانته العلمية، وكونه عمًّا لأبي الإمام الجواد، لكنه خضوعاً لما يعرفه من أحقية الجواد مع صغر سنه، يعترف له بالإمامة والفضل، ويبدي له الاحترام والخضوع.

ورد عن محمد بن الحسن بن عمار قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد ـ مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ـ فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم اجلس رحمك اللّه. فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم، فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه، جعل أصحابه يوبخونه، ويقولون: أنت عمّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟ فقال: اسكتوا إذا كان اللّه عز وجل ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهل هذه الشيبة وأهلّ هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ باللّه مما تقولون[1].

كرمه وجوده

لقب الإمام محمد بن علي الرضا بالجواد، لجوده وكرمه وكثرة عطائه، والجواد من الجود، وهو كثرة العطاء والكرم. قال بعض اللغويين: إن الجود هو كثرة العطاء من غير سؤال[2].

وقال الشاعر:

وما الجود من يعطي إذا ما سألته ولكن من يعطي بغير سؤال

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي ج١، ١٤٠٥هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص٣٢٢.

(٢) أبو هلال العسكري. الفروق في اللغة، ١٤٠٣هـ (دار الآفاق الجديدة)، ص١٦٧.

ومن شواهد جوده التي نقلها التاريخ:

- قال أحمد بن حديد خرجت مع جماعة حجاجاً، فقطع علينا الطريق، فلما دخلت المدينة لقيت أبا جعفر في بعض الطريق، فأتيته إلى المنزل، فأخبرته بالذي أصابنا. فأمر لي بكسوة وأعطاني دنانير، وقال فرقها على أصحابك على قدر ما ذهب. فقسمتها بينهم فإذا هي على قدر ما ذهب منهم لا أقل ولا أكثر[١].

- وعن علي بن إبراهيم عن أبيه قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام إذ دخل إليه صالح بن محمد بن سليمان الهمداني، وكان يتولّى له، -أي متولياً على بعض أمواله- فقال له: جعلت فداك اجعلني من عشرة آلاف درهم في حلّ فإني أنفقتها، فقال عليه السلام: أنت في حل[٢].

- ونقل الصفدي أنه كان عليه السلام في كل سنة يوزع في المدينة أكثر من ألف ألف درهم[٣]. وكان يتفقد الفقراء والمحتاجين من دون أن يسألوه، ولذلك سمي بالجواد. ويروى عنه أنه قال: «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأن لهم أجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف

---

(١) بحار الأنوار. ج٥٠ ص٤٤.

(٢) المصدر نفسه. ص١٠٥.

(٣) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. الوافي بالوفيات ج٤، ١٤٢٠هـ، (بيروت: دار إحياء التراث)، ص٧٩.

فإنما يبتدئ فيه بنفسه»[١]، فالإنسان أحوج إلى إعطاء الفقير من أخذ الفقير منه. وهذه الرؤية قمة في المبادئ والقيم. وقد لا يدرك الإنسان غير المتأمل حقيقة الأجر وعظم شأنه في الآخرة، لأنه يعيش اللحظة الحاضرة ويستغرق في مطالب الدنيا، وقد عبر اللّه عن ذلك فقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٢].

هدي وإرشاد

من أفضل ما نستفيده من الاحتفاء بذكرى الإمام الجواد عليه السلام الاقتباس من هديه وإرشاده، فكلماته التوجيهية، ونصائحه الرسالية، تمثل نوراً يضيء للإنسان طريق الحياة.

فمن توجيهاته الرائعة عليه السلام قوله:

١ - «لا تكن ولياً للّه تعالى في العلانية وعدواً له في السر»[٣].

إنه تحذير لمن يتظاهر أمام الناس بتقوى اللّه، والتزام أوامره، لكنه بعيداً عن أعين الناس يتجرأ على معاصي اللّه.

٢- قال عليه السلام: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»[٤].

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٥ ص٧٩.

(٢) سورة الروم، آية: ٧.

(٣) بحار الأنوار. ج٧٥ ص٣٦٥.

(٤) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة. ج٢٧ حديث ٣٣١١٢، الطبعة الأولى

وهو توجيه إلى المعرفة، وتذكير بمحورية العلم في حركة الإنسان.

٣- قال عليه السلام: «من أطاع هواه أعطى عدوه مناه»[١].

فالعدو الرئيس للإنسان في هذه الحياة هو الشيطان الرجيم، الذي يصفه اللّه تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٢]، وإذا ما أطاع الإنسان شهواته، فإنه يحقق هدف الشيطان ومناه تجاهه.

وحتى في الصراعات والعداوات التي تحصل بين أبناء البشر، على الإنسان أن يتصرف تجاه أعدائه بتفكير وتعقّل، أما إذا تصرّف بوحي من عاطفته وانفعاله، فقد يخدم أهداف عدوه، من حيث لا يريد.

٤- قال عليه السلام: «من استفاد أخاً في اللّه فقد استفاد بيتاً في الجنة»[٣].

فلا شيء أثمن من الصديق المبدئي، الذي ترتبط به في ظل القيم الدينية، إنه يساعدك على نيل رحمة اللّه ورضوانه.

٥- قال عليه السلام: «ثلاث يبلغن العبد رضوان اللّه تعالى: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة»[٤].

إن كثرة الاستغفار تعني مراجعة الإنسان الدائمة لأخطائه وثغراته

١٩٩٣م، (بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث)، ص٢٥.

(١) علي النمازي الشاهرودي. مستدرك سفينة البحار. ج٦، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي)، ص٩٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٨.

(٣) ميرزا حسين النوري الطبرسي. مستدرك الوسائل. ج٨، الطبعة الثالثة١٩٩١م، (بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث)، ص٣٢٣.

(٤) بحار الأنوار. ج٧٥ ص٨١.

ونقاط ضعفه، وعزمه على تداركها وتلافيها. أما لين الجانب فيعني حسن علاقته مع الناس، والصدقة تعني الاهتمام بمناطق الضعف في المجتمع، والشعور بالمسؤولية تجاه المحتاجين.

٦- قال عليه السلام: «ما هدم الدين مثل البدع»[١].

فإضافة شيء إلى الدين، ونسبة ما ليس منه إليه يعتبر نسفاً لحقيقة الدين، وهي كونه وحياً من قبل اللّه تعالى، وليس من وضع البشر.

٧- قال عليه السلام: «عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه»[٢].

فالمعتقدات والعبادات على أهميتها، إلا أن ثمرتها المطلوبة هي الأخلاق الطيبة، فإذا لم تتوفر في شخصية الإنسان، فذلك يعني ضعف العقيدة، وسطحية العبادة.

٨- قال عليه السلام: «من سلامة الإنسان قلة حفظه لعيوب غيره، وعنايته بإصلاح عيوب نفسه»[٣].

هذا هو النهج السليم للإنسان الواعي، أن يهتم بمعالجة نقاط ضعفه، وأن لا يتتبع عثرات الآخرين.

---

(١) مستدرك سفينة البحار. ج٦ ص٥٧٦.

(٢) أبو محمد الحسن بن علي الحراني. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الطبعة الخامسة ١٩٧٤م، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات). ص١٤١.

(٣) بحار الأنوار. ج٧٥ ص٨١.

من توجيهات الإمام الحسن العسكري عليه السلام

جاء في وصية للإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام وجَّهها لأتباعه وشيعته، قال فيها: «أوصيكم بتقوى اللّه والورع في دينكم والاجتهاد للّه وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى مَنِ ائتمنكم من بَرٍّ أو فاجر، وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم. صلُّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدّى الأمانة وحسَّن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك، اتقوا اللّه وكونوا زينًا ولا تكونوا شينًا، جرُّوا إلينا كل مودّة وادفعوا عنا كل قبيح»(١).

الإمام الحسن العسكري عليه السلام عاش كآبائه الطاهرين حياة صعبة قاسية، ولعلّ الصعوبة في حياته أشدّ من حياة آبائه وأجداده في بعض

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ص٣٦٢.

الجوانب والظروف.

ومن ذلك قصر عمره الشريف، فولادته عليه السلام كانت سنة ٢٣٢هـ، وشهادته سنة ٢٦٠هـ، مما يعني أن عمره عليه السلام كان ٢٨سنة فقط، فهو عليه السلام وجدّه الإمام الجواد عليه السلام من أقصر الأئمة عمرًا، فقد استشهد الإمام الجواد وعمره ٢٥ سنة، وهذا مما يدعم القول بأن رحيلهما عليهما السلام عن الدنيا لم يكن طبيعيًّا، وإنما بعامل الاغتيال والقضاء على حياتهما بالسم، وإن كانت الآجال بيده سبحانه، خصوصًا مع ملاحظة الظروف والأجواء التي كان الأئمة عليهم السلام يعيشونها في ظل السلطة المناوئة لهم.

وبالإضافة إلى قصر عمر الإمام العسكري عليه السلام فإنه عاش حالة الحصار طوال حياته، وهذا أمر لم يعانِ منه آباؤه عليهم السلام بمثل ما عاناه، فبعض الأئمة كانت تتاح لهم الفرصة بحيث لا يكون فيها تحت رقابة السلطة، كأن تكون حياته في بدايتها بعيدة عن مركز السلطة، فيكون في المدينة مثلاً والخليفة في بغداد أو دمشق، لكن الإمام العسكري عليه السلام عاش حالة الحصار والرقابة المشدّدة من صغره.

فحينما رُحِّلَ مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام بأمر المتوكّل العباسي من المدينة إلى سامراء (سُرَّ مَن رأى) كان عمره سنتين أو أربع سنوات فقط، وكانت المنطقة التي أُسكنوا فيها منطقة الجيش والجند، ولذلك كانت تسمّى (عسكر)، ومَنْ يقيم فيها يسمى (عسكري) نسبة إلى هذه المنطقة، ولذلك أطلق على الإمام هذا اللقب.

وفي سامرّاء لم يكن هناك جمهور الأمة ولا نخبتها العلمية من الذين

قد يختلط بهم الإمام أو يلتفّون ويتعاطفون معه، بل كانت عاصمة الدولة آنذاك، فكان سكّانها الحاكم مع جنوده وحاشيته والمقربين إليه.

وقد أبقى الخليفة العباسي الإمام الهادي وابنه العسكري فيها وشدّد عليهما الرقابة، وبقي الإمام العسكري فيها إلى أن استشهد.

لذلك يمكننا أن نتصوّر صعوبة الظروف التي قاساها الإمام، لدرجة أن بعض الروايات التاريخية تنقل أن الإمام عليه السلام كان مفروضًا عليه أن يحضر إلى ديوان الحاكم مرّتين في الأسبوع ليثبت تواجده وحضوره.

وهذا كلّه يبيِّن أن فرصة لقاء الإمام بالناس كانت ضعيفة، والفرصة الوحيدة كانت حينما يكون الإمام في الطريق عندما يخرج عليه السلام لبعض شؤونه أو إلى قصر الخليفة، وإلا فإن التردّد على الإمام وزيارته كانت محفوفة بالمخاطر.

وحتى اللقاء به في الطرقات العامّة لم يكن آمنًا، وهذا ما نستشفّه من رواية تنقل عنه عليه السلام أنه كتب إلى بعض شيعته يقول لهم: «ألا لا يُسَلِّمَنَّ عليَّ أحد، ولا يشير إليَّ بيده، ولا يومئ، فإنكم لا تُؤمَنون على أنفسكم»[١].

وورد عنه عليه السلام أنه قال: «ما مُنِيَ أحدٌ من آبائي بمثل ما مُنيتُ به»[٢].

(١) بحار الأنوار. ج٥٠ ص ٢٦٩ حديث ٣٤.

(٢) السيد محمد كاظم القزويني. الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، الطبعة

هذه الرقابة المشدّدة على الإمام ما تركت الفرصة لأن تستفيد الأمة منه كثيرًا، وبالرغم من ذلك، نجد عددًا لا بأس به روى عن الإمام، حيث ترجم السيد محمد كاظم القزويني في كتابه (الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد) لـِ ٢٤٢ ممن استفادوا من علمه ورووا عنه، وهو عدد لا بأس به بالمقارنة مع الحالة التي كان يعيشها الإمام عليه السلام.

لكن ما وردنا عن حياته كان محدودًا جدًّا، فلذلك نجد أن أكثر من يكتبون عن سيرته عليه السلام يشيرون من البداية إلى شحّ المصادر، يقول السيد محمد كاظم القزويني في مقدمة كتابه (الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد) : «لا أستطيع أن أعرف كيف يتّم تأليف هذا الكتيّب مع قلّة المواد التاريخية الموجودة في التراجم والسّير، وفي بطون التواريخ والأحاديث؟»[1].

ومن الغريب أن نجد في المقابل من يضيف إلى حياته عليه السلام أشياء تحتاج إلى تحقيق وتثبّت.

وهذه مشكلة نواجهها مع معظم سِيَر الأئمة عليهم السلام.

من ذلك أنك تجد معظم من كتب عنه عليه السلام في كتب الروايات يذكر هذه المكرمة والفضيلة، التي لو تأمل فيها الإنسان يشك في أساس صحتها، حيث يذكرون أن المعتمد العباسي، وهو الذي يروى

الأولى ١٩٩٢م، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي)، ص ٢٩٧.

(١) المصدر نفسه.ص٦.

أنه دسّ السم للإمام العسكري عليه السلام، والذي قد عاش فترة كثرت فيها الصراعات السياسية بين العباسيين وبين الأخ وأخيه أو الأب وابنه من أجل الحصول على السلطة، مما سبَّب عدم استقرار الحكم، بحيث لا يبقى الخليفة إلا شهورًا أو سنوات محدودة. فقد نقل (أن المعتمد تضرع إلى الإمام العسكري عليه السلام وسأله أن يدعو له أن يبقى في الحكم عشرين سنة، لأنه رأى من سبقه من أسلافه من الحكام العباسيين كيف كانت أيام حكمهم قصيرة، وكيف خلعوا وقتلوا شرَّ قتله؟! فدعا له الإمام العسكري عليه السلام واستجاب اللّه دعاء الإمام)[1].

هذه الرواية تريد أن تبرز أمرين، هما:

الأول: أن الإمام مستجاب الدعاء من اللّه تعالى.

الثاني: أن الإمام يُحْسِن حتى مع أعدائه ويدعو لهم.

وما يدعو للتشكيك في هذه الرواية أنه من غير المتصوّر أن يدعو الإمام عليه السلام لطاغية ظالم وغير شرعي، ولو كانت استجابة الإمام ودعاؤه اضطرارًا وتقية لن يكون دعاء الإمام نابعًا من قلبه وعن قصد وإرادة، وبالتالي لا يستجيب اللّه تعالى دعوة ليست من القلب وغير مقصودة.

ولهذا فإن هذه الرواية تحتاج إلى تحقّق وتثبّت.

الإمام يملك شخصية مؤثرة

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يملك شخصية مؤثرة ومهيمنة

---

(١) الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد. ص ٥٨.

على من يلتقي به ويتعامل معه، وفي هذه النقطة تروى العديد من الروايات، منها ما ينقل عن أن السجّانين ـ أو الموكلين به عندما يأمر الخليفة بسجنه ـ كانوا يتأثرون به ويتغيرون سلوكيًا، وذلك كما ينقل أنه في زمن المهتدي العباسي عندما جاء بعض العباسيين لمسؤول السجن الذي وضع فيه الإمام عليه السلام واسمه (صالح بن وصيف) وقالوا له: ضَيِّقْ عليه ولا توسّعْ. فقال صالح: ما أصنع به، قد وكَّلْتُ به رجلين شرَّ مَنْ قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم. ثم أمر بإحضار الموكَّلَيْن فقال لهما: ويحكما، ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا له: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا أرعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا فلما سمع العباسيّون ذلك انصرفوا خائبين[١].

وفي حادثة أخرى تنقل كتب التاريخ أنه: حبس أبو محمد عليه السلام عند (عليِّ بن اوتامِش) ـ وكان شديد العداوة لآل محمّد عليه وعليهم السلام غليظاً على آل أبي طالب ـ وقيلَ له: افعل به وافعل. قال: فما أقام إلا يوماً حتى وضع خدَّيه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً له وإعظاماً، وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحنِّهم قولاً فيه[٢].

هذه المواقف تكشف عن مدى قوّة وهيمنة شخصية الإمام على قلوب الناس، وهكذا ينبغي أن يكون سلوك الإنسان المسلم قويًّا في

---

(١) أعلام الهداية، الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام ج١٣، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي)، ص ١١٣.

(٢) الإرشاد في معرفة حجج اللّه على العباد. ج٢ ص٣٢٩-٣٣٠.

شخصيته ومؤثرًا وفاعلاً بسلوكه أكثر من كلامه ووعظه.

وصايا الإمام العسكري عليه السلام

الإمام العسكري عليه السلام هو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ووالد الإمام المهدي عليه السلام الذي سيغيب عن شيعته مدة ممتدّة من الزمن، ولذلك فما ورد في الوصية التي افتتحنا بها الحديث عبارة عن منهج عام للشيعة يتعاملون وَفْقَهُ ويسيرون على هديه في عصر الغيبة.

ويمكننا أن نستخرج من هذه الوصية ثلاثة محاور:

المحور الأول: الالتزام بالمبادئ والقيم

التشيّع ليس انتماءً قلبيًّا فقط، وإنما هو انتماء قيمي سلوكي، وبالتالي فإن مَنْ ينتمي إلى هذا الخط والتيار يجب أن يكون ملتزمًا بالقيم والمبادئ، ولا يكفي الانتماء العاطفي، من إعلان الحبّ لأهل البيت عليهم السلام والموالاة لهم، فالكثير من الروايات والنصوص تؤكّد أن هذا لا يحقق العنوان ولا يجدي، فمجرّد المحبّة والولاء القلبي والانتماء العاطفي لا يجدي، وإنما يجب الالتزام بالقيم، ولذلك فإن أول ما يركّز عليه الإمام في هذه الوصية هو مسألة القيم والسلوك الملتزم، يقول عليه السلام: «أوصيكم بتقوى اللّه والورع في دينكم والاجتهاد للّه وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى مَنِ ائتمنكم».

المحور الثاني: الاندماج في مجتمع الأمة

السلطات العباسية والأموية وجميع السلطات المعادية لأهل

البيت عليهم السلام حاولت أن تحاصر أهل البيت عليهم السلام وتبعدهم عن شيعتهم وأتباعهم وعن الناس عمومًا، حتّى لا يتفاعلوا مع جمهور الأمة ويؤثروا فيهم.

ولذلك يوجّه الإمام خطابًا عامًّا لشيعته بأن لا ينعزلوا عن الأمة، وأن يندمجوا مع جماهيرها وعامّة المسلمين، فالبعض من الناس يرى في الاندماج والتداخل مع الآخرين نوعاً من الذوبان فيهم على حساب المبادئ. وفي الواقع، إن المؤمن الحقيقي الذي يحمل الوعي والبصيرة لا يخشى عليه من الذوبان والتأثّر، بل هو في موقع التأثير في الآخرين.

ولذلك فالأئمة يوجِّهون شيعتهم إلى الاندماج والتداخل مع الناس في مجتمعاتهم وأوطانهم، وألا يكونوا فئة معزولة محاصرة، وألاَّ يعيشوا حالة الانطواء والانكفاء على أنفسهم.

أولاً: لأن أيّ مجتمع ينعزل ويبتعد عن الجمهور يسهل اتّهامه بأي تهمة، وتشوَّه سمعته، بينما إذا اختلط مع الناس فإنهم يرونه ويتأكدون من وضعه ولا تنطلي عليهم تلك التهم والشبهات التي من الممكن أن تلقى من هنا وهناك.

ثانياً: إن الانعزال لأيّ مجتمع يخلق أجواء معادية ضدّه، وسيكون على العكس من ذلك لو كان هناك اختلاط وتداخل فإنه تنشأ حالة من المودّة والألفة والعلاقة الجيّدة بين الجميع.

وثالثًا: إن الابتعاد عن الناس لا يوصل إليهم الفكرة بشكل جيد، وتصبح أفكار ومعتقدات وآراء ذلك المجتمع المنعزل مشوشة وغير

مفهومة لدى الآخرين، بينما لو كان هناك اندماج بين المجتمعات على اختلافها ستكون أفكار كل مجتمع معروفة بشكل أوضح.

ولذلك نحن نؤكّد ـ وخاصّة في هذا العصر الذي حدثت فيه تغيرات تجعل الإنسان أكثر ثقة بنفسه وأكثر أمنًا واطمئنانًا على وضعه ـ أهمية مسألة الاندماج والانفتاح، وقد رأينا الآثار الطيبة الكثيرة، فوجدنا كيف أن البعض من المؤمنين من أتباع أهل البيت عليهم السلام حينما اندمجوا مع الآخرين استطاعوا أن يعطوا صورة مشرقة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباعه، وأن يتركوا انطباعًا حسنًا لدى الآخرين، وهذا الأمر في مصلحة المجتمع المؤمن وفي مصلحة الرسالة التي نؤمن بها.

إن الاندماج أمر مطلوب، وخاصّة على المستوى الوطني، وعلى مستوى المؤسسات الوطنية والعلاقات الاجتماعية.

ولذلك فإن ما نراه من حالة سلبية عند بعض الطلبة من مجتمعنا حينما يتوجَّهون للدراسة في الجامعات، فتراهم يتكتّلون وينطوون على بعضهم، بحيث لا تكاد تجد لهم علاقات مع الآخرين من أبناء المجتمعات الأخرى إن هذه الظاهرة غير جيدة، فنحن لا نخاف من إبداء ما عندنا حتّى نبدو بهذه الانطوائية والانعزال، وخاصة مع هذه التطورات الإيجابية، بل نحاول أن نتعرّف إلى الآخرين ونترك الفرصة للآخرين ليتعرّفوا إلينا.

وقد رأينا أن من فوائد انفتاح البعض على الآخرين أن دعاهم ذلك لتعرف مبدئهم ومذهبهم والقراءة والاطّلاع حوله بشكل أفضل، لأنهم

حينما يلتقون الآخرين فيسألونهم عن عقائدهم وممارساتهم يجدون أنفسهم أمام تحدّي الإجابة عن هذه الاستفسارات، فيقرأون ويبحثون، وهذه ثمرة جيدة.

وبهذا، فإن الانفتاح على الآخر يكون من أسباب البصيرة بالمبدأ، ووسيلة للتعريف بهذا المجتمع وإيصال هذه الأفكار والآراء للآخر.

ومن الخطأ الكبير أن يبقى شبابنا في الجامعات أو موظفونا في المناطق المختلفة منكفئين على أنفسهم.

والإمام في هذه الوصية يحثّ على مسألة الاندماج والتداخل مع الآخرين، يقول عليه السلام : «صلُّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، إن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدّى الأمانة وحَسُنَ خلقه مع الناس، قيل هذا شيعي فيسرّني ذلك»، وهذا معناه أن الإمام يريد أن يعوّد أتباعه بالالتزام بالقيم والسلوك الطيب بين الناس.

المحور الثالث: حسن السمعة

هناك على طول التاريخ من يحاول أن يشوّه ويرسم صورة خاطئة عن أتباع أهل البيت عليهم السلام، لأغراض سياسية، أو لجهله بهم، أو لقناعة خاطئة، وعلينا أن نعمل لتحسين الصورة، وأن تكون صورة هذا المجتمع حسنة أمام الآخرين، فهذه مسؤوليتنا.

يقول في ذلك الإمام العسكري عليه السلام: «اتقوا اللّه، وكونوا زينًا ولا

تكونوا شينًا»[١].

إن البعض في مجتمعنا حينما يسمع حديثًا عن الاهتمام بانطباع الآخرين تجاه المذهب والمجتمع، يفهم ذلك فهمًا خاطئًا ويقول ـ إما عن جهل أو حماقة ـ: وما يهمّنا ما يقوله عنَّا الآخرون. أو يستشهد بالآية القرآنية: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[٢]، وهذا خلط للأوراق، فليس صحيحاً أن نقول إن السمعة الحسنة لدى الآخرين ليست مهمّة، فالإنسان المسلم كفرد ينبغي له أن يحسّن سمعته، والمجتمع المسلم كمجتمع ينبغي له ـ كذلك ـ أن يعطي الصورة المشرقة عنه كمجتمع.

وبشأن الآية الكريمة: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ فإن معناها أن يلتزم كل إنسان بدينه ومبدئه ولا يكون هناك مداهنة ومداراة على حساب المبادئ والقيم. ومعناها أن اليهود والنصارى لن يكفوا عن الضغوط عليكم حتى تتراجعوا عن دينكم.

وهذا المعنى لا إشكال أو اعتراض عليه.

ولكن حينما لا ترتبط المسألة بأصول المبدأ والمذهب، فتكون أمام أمرٍ جائزٍ أو فيه شبهة استحباب، وفي مقابل القيام بهذا الأمر نخسر السمعة والنظرة الطيبة عند الآخرين، فعلى العاقل أن يرجّح أيهما أولى،

(١) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله ص٣٦٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠

والترجيح يقتضي في هذه الحالة الحفاظ على السمعة الحسنة.

فحينما يطلب من بعض متشدِّدي المسلمين عدم القيام ببعض الأعمال حتى لا يكون انطباع المجتمعات الغربية وغير المسلمة انطباعًا سيئًا يجيبون بالآية الكريمة: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾، وهذا موقف خطأ وغير واعٍ.

والأمر نفسه موجّه لأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام الذين من المفترض بهم أن يهتمّوا بسمعتهم كمذهب وكمجتمع أمام الرأي العامّ الإسلامي والعالمي.

إن مَنْ يبدي اهتمامًا بهذا الأمر يعني أنه مهتمّ بمصلحة هذا المذهب وهذا المجتمع، ولا يعني ذلك أنه نوع من التنازل أو الخضوع، وإنما يعني الحرص على سمعة هذا المجتمع، ولذلك نرى نصوصاً كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام تحثّ على هذا الجانب، منها ما أوردناه من وصية الإمام العسكري في قوله عليه السلام: «كونوا زينًا ولا تكونوا شينًا».

وفي رواية أخرى عنهم عليهم السلام: «لا تحدّثوا الناس بما لا يعرفون»[1]، أي بما يستنكرونه منكم من أعمال وممارسات إذا لم تكن هذه الممارسات من أصول المبدأ.

ورواية ثالثة تقول: «رحم اللّه عبداً استجرّ مودّة الناس إلى نفسه وإلينا»[2].

---

(١) بحار الأنوار. ج٢ ص٧٧ حديث٦١.

(٢) بحار الأنوار. ج٢ ص٧٧ حديث ٦٢.

إن الحفاظ على السمعة وتحسين الصورة عند الآخر هدف سامٍ ينبغي الاهتمام به، إذا لم يكن على حساب الأسس والمبادئ، ولكنه من الممكن أن يكون على حساب بعض الأعراف والتقاليد والأمور الجائزة، لأن هناك ما يكون أرجح وأفضل، ولهذا نجد مثل هذه الروايات والنصوص وردت عن أهل البيت عليهم السلام.



المصادر

١. ابن عبد ربه الأندلسي. العقد الفريد، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٢. ابن منظور. لسان العرب، ١٩٨٨م (بيروت: دار الجيل ودار لسان العرب).

٣. أبو الحسن الندوي. المرتضى، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، (دمشق: دار القلم).

٤. أبو الفداء الحافظ ابن كثير. البداية والنهاية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٥. أبو الفرج الأصفهاني. مقاتل الطالبيين، (بيروت: دار المعرفة، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر).

٦. أبو محمد الحسن بن علي الحراني. تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، الطبعة الخامسة ١٩٧٤م، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).

٧. أبو هلال العسكري. الفروق في اللغة، ١٤٠٣هـ (دار الآفاق الجديدة).

٨. أحمد بن أبي يعقوب الكاتب بن واضح الإخباري. تاريخ اليعقوبي، ١٩٦٤م، (النجف: المطبعة الحيدرية).

٩. أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، (بيروت: عالم الكتب).

١٠. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى١٤١٨هـ، (الرياض: مكتبة دار السلام).

١١. أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي. الصواعق المحرقة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، (بيروت: مؤسسة الرسالة).

١٢. أعلام الهداية، الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي).

١٣. آقا بزرك الطهراني. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار الأضواء).

١٤. باقر شريف القرشي. حياة الإمام الحسن بن علي، الطبعة الثالثة

١٣٩٣هـ، (قم: دار الكتب العلمية).

١٥. باقر شريف القرشي. حياة الإمام الحسين بن علي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: دار البلاغة).

١٦. باقر شريف القرشي. حياة الإمام علي بن موسى الرضا، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، (بيروت: دار المرتضى).

١٧. باقر شريف القرشي. حياة الإمام محمد الباقر، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: دار البلاغة).

١٨. باقر شريف القرشي. حياة الإمام موسى بن جعفر، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: دار البلاغة).

١٩. باقر شريف القرشي. عصر الإمام الصادق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: دار الأضواء).

٢٠. تقي الدين أحمد ابن تيمية. حقوق آل البيت، (بيروت: دار الكتب العلمية، تحقيق: عبدالقادر عطا).

٢١. جريدة الشرق الأوسط. صحيفة يومية تصدر في لندن.

٢٢. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تاريخ الخلفاء، الطبعة الثانية ١٩٩٤م، (بيروت: دار الجيل).

٢٣. حسين علي المنتظري. دراسات في ولاية الفقيه، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، (بيروت: الدار الإسلامية).

٢٤. السيد جعفر مرتضى. الحياة السياسية للإمام الرضا، ١٩٨٦م،

(بيروت: دار الأضواء).

٢٥. السيد محمد كاظم القزويني. الإمام الحسن العسكري عليه السلام من المهد إلى اللحد، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي).

٢٦. الشريف الرضي الموسوي. نهج البلاغة، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، (بيروت: دار الكتاب اللبناني).

٢٧. الشيخ المفيد. محمد بن محمد بن النعمان. الإرشاد في معرفة حجج اللّه على العباد، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، (بيروت: دار المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث).

٢٨. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. الوافي بالوفيات، ١٤٢٠هـ، (بيروت: دار إحياء التراث).

٢٩. ظافر القاسمي. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٧٨م، (بيروت: دار النفائس).

٣٠. عباس القمي. سفينة البحار، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، (قم: دار الأسوة).

٣١. عبد الحميد بن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة، ١٩٨٧م، (بيروت: دار الجيل).

٣٢. عبد اللّه بن مسلم ابن قتيبة الدينوري. الإمامة والسياسة، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه،

تحقيق: طه محمد المزيني).

٣٣. عبدالوهاب الأنصاري الشعراني. مختصر صفوة الصفوة ١٩٦٧م (مكة: مطبعة النهضة الحديثة).

٣٤. عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني. الكامل في التاريخ، ١٩٨٩م، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي).

٣٥. علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة).

٣٦. علي النمازي الشاهرودي. مستدرك سفينة البحار، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي).

٣٧. علي بن عيسى الأربلي. كشف الغمة، (بيروت: دار الأضواء).

٣٨. محمد أبو زهرة. الإمام الصادق، (بيروت: دار الندوة الجديدة).

٣٩. محمد الريشهري. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (قم: دار الحديث).

٤٠. محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار. الطبعة الثالثة ١٩٨٣م، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٤١. محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٤٢. محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث).

٤٣. محمد بن جرير الطبري. تاريخ الطبري، الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي).

٤٤. محمد بن عبد الوهاب. مختصر سيرة الرسول، (الرياض: مؤسسة دار الكتاب السعودي).

٤٥. محمد بن عبداللّه الحاكم النيسابوري. المستدرك على الصحيحين، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٤٦. محمد بن علي بن بابويه القمي. عيون أخبار الرضا، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).

٤٧. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ١٤٠٥هـ، (بيروت: دار الأضواء).

٤٨. محمد بيوّمي مهران. الإمامة وأهل البيت، ١٩٩٥م، (بيروت: دار النهضة العربية).

٤٩. محمد علي البار. الإمام علي الرضا ورسالته في الطب، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م، (بيروت: دار المنهل).

٥٠. محمد فريد وجدي. دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٩٧١م، (بيروت: دار المعرفة).

٥١. محمد مهدي شمس الدين. نظام الحكم والإدارة في الإسلام،

الطبعة الثانية ١٩٩١م، (بيروت: المؤسسة الدولية).

٥٢. محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، (الكويت: الدار السلفية، الأردن: المكتبة الإسلامية).

٥٣. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، (الرياض: دار المغني).

٥٤. ميرزا حسين النوري الطبرسي. مستدرك الوسائل، الطبعة الثالثة ١٩٩١م، (بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث).



الفهرس

عنوان المؤلف

المملكة العربية السعوية

ص.ب: ١٣٢٢ القطيف ٣١٩١١

هاتف: ٩٦٦٣٨٥٥٥٢١٠+

فاكس: ٩٦٦٣٨٥١٢٦٠٠+

الموقع على الإنترنت: www.saffar.org

البريد الألكتروني: office@saffar.org